

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حزب التحرير

مناقشة علمية لأهم مبادئ الحزب

ورَدَّ علمي مفصل حول خبر الواحد

تأليف

عبد الرحمن بن محمد سعيد مشقية



مكتبة الفرياء

الدار الأنثوية للطباعة والنشر

إسطنبول - تركيا

٢١٦٣٤١١٨٦٤ - ٢١٢٥٨٩٦٠٤٩

P.K. 591 Sirkeci- İstanbul- Türkiye

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حزب التحرير

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

يطلب في مصر لدى مكتبة ابن تيمية
القاهرة
هاتف ٥٨٦٤٤٠٠

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

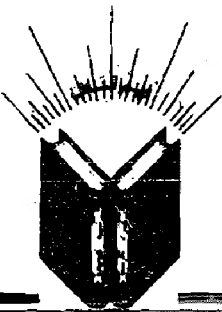
حزب التحرير

مناقشة علمية لأهم مبادئ الحزب

وَرَدٌ عَلَيمِيٌّ مفصل حول خبر الواحد

تأليف

عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية



مكتبة الفرياء

الدار الأثرية للطباعة والنشر

إستانبول - تركيا

٢١٦٣٤١١٨٦٤ - ٢١٢٥٨٩٦٠٤٩

P.K. 591 Sirkeci- İstanbul- Türkiye



المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين. أما بعد:

فقد شهد القرن العشرين بعد نهاية المملكة العثمانية بروز جماعات دينية «مسيحية» التوجه ترى في دخول معترك السياسة أملا في النهضة بالأمّة والعودة بها الى ما كانت عليه من عز وقيادة. وقدم كل من هذه الأحزاب عملا وطرح منهاجا كان لا بد من دراسته لما فيه خير الأمّة.

ومن هذه الجماعات «حزب التحرير» وهو حزب يحض المسلمين على العمل لاستعادة الخلافة التي سقطت في نظر الحزب منذ بداية هذا القرن ومنذ ذلك الوقت تراجعت الأمّة وفقدت كيانها وهيبتها بين الأمم.

غير أن هذه الحركات تجاهلت تراجع الأمّة في دينها والذي بسببه تراجعت في دنياها وفقدت من القوة والأرض والسؤدد والكرامة بقدر ما فقدت من دينها. وتخلّفت عن الدور الحضاري كنتيجة طبيعية لتخلّفها عن الدين، وأكمل الكفار طريق العلم الذي وقفت عنده هذه الأمّة، وغدا ضعفا وتخلّفها فتنة لأمم الكفر الذين وظفوا تقدمهم العلمي لصالح دينهم وجعلوه علامة على صحته.

وتأصلت هذه الحركات على أصول الحماس والعاطفة. وتقلد رأيتهما أشخاص تعلموا الرغبة والحماس ولم يتعلموا العلم، فتخطبوا وتخطب من ورائهم من تبعهم، واستفاد عدو المسلمين من هذا التخطب وهذه العشوائية. وغلب عليها اعتماد وسائل مرتجلة آلت بالمسلمين الى زيادة ضعف ومنحت عدو المسلمين الذريعة وراء الذريعة.

وصار العمل الدعوي مرهونا موقوفا تعطله المواقف السياسية فلا دعوة حتى تعود الأرض وحتى يعود الحكم! ولكن لم تسترد الأرض ولم تسترد

الخلافة، ومات كثيرون على ملل الكفر، وتحملت الأمة إثم تركهم بلا دعوة وخسر الاسلام أعدادا هائلة ممن ماتوا على غيره من الملل.

ولا يجوز تعطيل الدعوة لأي سبب كان سياسياً أو غيره، فلو كان شعار الأرض أقدس من شعار الدعوة لما خرج النبي من مكة وأمر بالخروج منها. ولا يجوز أن تكون مشكلة أرض سبباً في تعطيل الدعوة. فبالدعوة اتقلب رجال من أعداء لهذا الدين إلى أنصار له بعد دعوتهم كما في غزوة الخندق، وبدعوة مصعب اعتنق أهل المدينة الاسلام. فعامل الدعوة له أكبر الأثر على تغيير سياسة الأمة وخروج من المأزق السياسية التي نعاني منها ولكن السياسيين لا يولون هذا العامل حقه.

وننظر إلى الدول الغربية التي تدعي أنها لا تبالى بالدين كيف تدعم النشاط التبشيري وتخصص له إميزانيات الضخمة: ليس لوجه الله وإنما لعلمها بأن الدعوة إلى النصرانية إنما تمهد لها الطريق لتوسيع رقعتها، وكذلك يعتني الروافض بالدعوة كثيراً وينفقون عليها الأموال لعلمهم أن في الدعوة إلى مذهبهم مكاسب سياسية، أما سياسيوننا من الاسلاميين فلا وجود للدعوة الحق مكان في برنامجهم السياسي.

الغزو الثقافي ليس جديداً

ومن الأمثلة الدالة على عدم كفاءة هؤلاء في معاينة الواقع ما تراه في كلامهم من كثرة الحديث عن الغزو الثقافي، والتذكير بمؤامرات (دبلوب وزويمر) اللذين لعبا دوراً كبيراً في تبديل المناهج الدراسية الإسلامية في الدول العربية بمناهج علمانية.

التصوف وعلم الكلام من الغزو الثقافي

ولكن فات هؤلاء الكلام على حقيقة أهم منها وهي أن أمتنا قد تعرضت لأبشع غزو ثقافي منذ قرابة الألف ومئتي سنة حين دخل علم الكلام في أصل دينها ولم يتخلص المسلمون منه حتى اليوم، حتى صار علم الكلام هو المعنى المرادف لعلم التوحيد. ثم دخل التصوف الفلسفي اليوناني تحت ستار الزهد والتوكل والمحبة، فصرت إذا أردت تعلم أصول الدين وعلوم العقيدة فلا بد من تعلم علم الكلام، وإذا طلبت الزهد ومحبة الله لزمك تعلم علم التصوف. وعن طريقهما تصربت إلى الإسلام آلاف البدع.

وامتزج هذان المصدران الأجنيبيان بمناهج التدريس ليس في كتب التعليم العادي فحسب، وإنما في الكليات والجامعات الإسلامية التي يتخرج منها المشايخ والدعاة. وتخرج غالب الدعاة على هذه المناهج المسمومة وصاروا يذافعون عما درسوه ويبررون هذا السم الذي تجرعوه، وصاروا يرمون المنكر عليهم بشتى الاتهامات حتى غلب هذا المنكر من بدع العقائد وبدع السلوك على هذه الأمة وصار المصلح يدخل المساجد ويحوقل ما يراه ويخاف إنكاره.

أردت بذلك بيان أن من لم يشخص الداء لن يمكنه وصف الدواء. ولكن أكثر الحركات الإسلامية لا تتحدث عن ضرورة تشخيص الداء الواقع بالأمة ولذلك لم يعطوا دواء حقيقياً وإنما وصفوا أدوية لا علاقة لها بنوع المرض الذي أصاب الأمة. وتوارث العلماء والعوام هذين المنهجين وانتشرت بدع العقائد والعبادات عبر علم الكلام وفلسفة التصوف.

فهذا غزو ثقافي لا يكاد يتحدث عنه من يدعون للخلافة بل يجهلونه ويجهلون أن السبب الأصلي في مصيبة هذه الأمة إنما هو من داخلها وليس من الخارج. ولكن: للشيطان صوارف يعرف كيف يصرف الناس عنها وتتج هذه الصوارف بقدر ما عند الناس من جهل ومن عاطفة متحررة من ضابط العلم والتقييد بقيد الشرع وضوابطه. وما لم يدندن المصلحون والدعاة حول هذه الحقيقة فلن يستطيعوا التغيير وإنما الأصل الذي يجب أن ينطلقوا منه:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾

﴿قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير﴾.

إذا الكلام عن حزب التحرير

من فضل الله على هذه الأمة أنك لا تجد مخطئاً أو ضالاً أو مغالياً إلا ويقيد الله له من يأمره وينهاه.

ولقد صار لحزب التحرير علامة بها يعرف وهي الطعن في خير الواحد وعذاب القبر حتى غدت هاتان المسألتان من أهم وأول ما يجب اعتقاده، بل صار جنلهم حول خبر الواحد وعذاب القبر يفوق كلامهم عن الخلافة التي هي قضيتهم الأم وشغلهم الشاغل.

وكان الناقب بهم الابتعاد عن الخوض في هذه المسائل التي لا خبرة لهم بها بحكم تشغالهم بمسائل السياسة. لكنهم لم يفعلوا، بل أخذوا يثيرون الشبهات ويتهمون مخالفهم بخالفة الدين وظهروا للناس بأنهم أكثر اصلاً وعلماً من أهل الحديث.

وقد راعيت في هذا البحث إثراء المسلم ببحث شامل عن خير الواحد وعذاب القبر ينهي الشغب الذي أحدثه هؤلاء وبعد جامعاً لكل بحث تطرق لهذه المسألة بما يساعد الباحث عن الحق حتى من أبناء الحزب على بلوغه في هاتين المسألتين وغيرهما.

ولأن أعضاء الحزب قد يجهلون أن رؤساء الحزب ومنظريه ينطلقون في هذه المسائل من منطلق المذهبين الأشعري والماتريدي وهما مذهبان كلاميان ينطلقان من علم الجدل والكلام الذي تفق أئمة أهل السنة على نفيه والتحذير منه.

مؤسس حزب التحرير

قبل الكلام عن الحزب نوجز ترجمة لمؤسسه:

وهو: تقي الدين النبهاني رحمه الله حفيد ليوسف بن اسماعيل النبهاني الذي كان أحد غلاة التصوف وصاحب الكتاب الضخم المشهور «جامع كرامات الأولياء»^١.

ولد تقي الدين النبهاني سنة ١٩٠٩ بقرية (اجزم) بقضاء حيفا. وحفظ القرآن ودرس الفقه على يد والده الشيخ ابراهيم النبهاني.

والتحق بجامعة الأزهر ليحصل بعد ذلك على شهادة العالمية ثم عاد الى حيفا واشتغل بالتدريس. ثم انتقل منها الى سنك القضاء حتى سنة ١٩٤٨ حيث استقر في بيروت ثم عاد الى الأردن وعمل في الكلية الاسلامية الى أن تفرغ بعد ذلك لانشاء حزبه في الخمسينات منتقلا بين الاردن وسورية ولبنان لتوسيع قاعدة حزبه حتى توفي في لبنان بتاريخ ١٩٧٧/١٢/١٠.

وله كتب عديدة منها «رسالة العرب» التي تظهر توجهه القومي حيث كان عضوا في كتلة القوميين العرب ويظهر أنها من أوائل ما كتب قبل مرحلة تأسيس الحزب ولست أدري ان كان قد صرح بالتراجع عن هذا الكتاب. ومنها كتاب «نظام الاسلام» و«نداء حار الى العالم الاسلامي» و«التكتل الحزبي» و«نظام الحكم في الاسلام» و«أسس النهضة» و«نظام الاسلام» و«الشخصية الاسلامية».

^١ - الاعلام للزركلي ٢١٨/٨.

عقيدة الحزب

هو في العقيدة ماتريدي أكثر منه أشعرياً، وإن كان يرى أن كلاهما هم علماء التوحيد، وربما أشار إلى بعض الخلافات التي حكاها بين الفرقتين حول التعليل والقدر. ولكنه بشكل عام يبنى التأويل للصفات في مؤلفاته، مثال ذلك قوله في قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) أي قدرة الله تعالى فوق قدرتهم. وهذا التأويل وغيره شهد أبو الأشاعرة (أبو الحسن الأشعري) وشارح الفقه الأكبر الشيخ ملا علي قاري أن تأويل اليد بالقدرة والاستواء بالاستيلاء وإنكار علو الله في السماء هو عين تأويل المعتزلة وقولهم ومذهبهم.

وكذلك يقلد الرازي في تمجيد العقل وتقديمه على الأدلة الشرعية. فيصرح بأن أدلة القرآن والسنة تبقى ظنية ولا تفيد اليقين إلا بشروط عشرة: منها عدم المعارض العقلي. بمعنى إذا عارض الدليل الشرعي العقل انقلب الدليل ظنياً ولو كان من القرآن والسنة. فخير الأحاد ليس هو الدليل الظني عند القوم بل حتى الدليل المتواتر فإنه ظني ولو كان آية في القرآن حتى تتفق مع العقل!

فالعقل مصدر للتلقي منفصل عن المصدر الشرعي والدليل على ذلك زعمه أنه يجوز عقلاً عنه ما لا يجوز شرعاً. فيجوز عنده عقلاً أن يجمع الصحابة على خطأ بظنونه حقاً. وهذه العقلانية مخالفة للشرع فقد قال النبي ﷺ « لا تجتمع أمتي على ضلالة ». بل ويحرم التحريرون على الناس إيراد الأدلة من القرآن أو السنة على إثبات وجود الله ويؤكدون على ذلك في كل مناسبة، وأنه يجب حصر الدليل بالأدلة العقلية فقط.

وقد كنت ألاحظ تحير خصوم الحزب عند مناقشة التحريرين لأنهم لا يعرفون شيئاً عن عقيدة الحزب ومؤسسه ولكن بعد البحث والتتقيب تأكد أنهم أشاعرة

١ - الشخصية الإسلامية ١٣٢/٣ وانظر ٣٧٤/٣ طء القدس ١٩٥٣.

٢ - مقالات الإسلاميين للأشعري ١٥٧ تبين كذب المفترقي ١٥٠ لابن عسماكر الفقه الأكبر ٣٣ وانظر كتاب شرح الأصول الخمسة ٢٢٨ ومثابه القرآن ٢٣١ كلاهما للفاقي عبد الجبار المعتزلي.

٣ - الشخصية الإسلامية ١٥٨/٢.

٤ - الشخصية الإسلامية ٢٩٧/٣.

وماتريدية وربما كانوا يميلون أكثر مع الماتريدية فمؤسسهم من مؤولة الصفات ومثل هذا الموضوع أولى بالمناقشة معهم قبل الحديث عن خبر الواحد. وما خبر الواحد الا واحدة من مسائل العقيدة التي يخالف فيها الأشاعرة والماتريدية أهل السنة والجماعة.

ولقد جانب الصواب وكتم الحقيقة من زعم في الموسوعة الميسرة للعقائد والمذاهب أن عقيدة حزب التحرير لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة^١ ومع أن العقيدة الأشعرية والماتريدية ضاللتان منتشرتان في أكثر العالم الإسلامي مخالفتان لأهل السنة في الصفات وكلام الله والقدر وغيرها فإنه لم يتكلم في موسوعته شيئاً عنهما.

هل هو مجتهد مطلق؟

أتباعه يطلقون عليه هذا الوصف، ولكن ما عرفه مشايخ عصره بهذا الوصف. ولا تشهد له كتبه وآثاره بهذا الوصف فهو ليس من أهل الحديث ولا من المناظرين في الفقه والمدونين فيه. وكيف يثبت الحزب له صفة الاجتهاد وينفونها عن رسول الله؟ إذا كان الاجتهاد صفة مدح فليثبتوها من باب أولى إلى النبي ﷺ!

هذا وقد بدأ تقي الدين النبهاني رحمه الله قبل فكرة إنشاء حزبه يتصل بجماعة الاخوان المسلمين في الاردن وساعده التوجه التسييسي السائد عند الاخوان المسلمين على تبني فكرة إنشاء حزبه. ومن ثم أعلن عن حزبه الذي أدهش جماعة الاخوان وأغضبهم لأنهم رأوا ذلك خروجاً عن نطاق الشرعية المتمثلة بهم وحدهم وتفريقاً لوحدة المسلمين^٢.

وقد قيل ان سبب هذا الانسلاخ عن جماعة الاخوان المسلمين هو حكمه عليهم بأن برنامجهم قد فشل وأن عليهم أن يتيحوا الدور لغيرهم. فكان أول ظهور علني لهذا الانسلاخ في محاضراته التي ألقاها بالقدس والتي قرر فيها أن الأمم لا تنهض بالاخلاق. فحدثت مشاجرات وخصوم أدت إلى خروجه عنهم والتفرغ لبناء حزبه.

١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣٦.

٢ - الدعوة الإسلامية فريضة وجهاد ١٣ - ١٤.

بداية نشأة الحزب

نشأ حزب التحرير على الطريقة التي نشأ عليها غيره من التأسيس الحماسي العاطفي. وجعل مسألة عودة الخلافة الإسلامية شعاراً يل عقيدة تطغى على العقيدة. وبنى برنامجاً سياسياً زعم أنه يجب أن لا يزيد على ثلاث عشرة سنة وبعدها يتسلم الخلافة. لكنه لم يراع بناء المنهج على أساس تربوي أخلاقي وأما على بنیان سياسي بحت. وكانت كتب الحزب تخلو من الدعوة إلى الصدق والورع والتقوى والأخلاص، والتحذير من الشرك ووسائله ومداخله التي هي أكثر موضوع القرآن، وتخلو من التحذير من أصناف المعاصي التي هي بدورها من أسباب فقدان الخلافة.

قال الدكتور عبد الله النفيسي « ويبدو أن الحزب قد حدد مهمته فقط في نشر الأفكار دون تطبيقها: فتطبيق الأفكار موكول إلى الدولة التي يزعم الحزب لإقامتها... من هنا لا يرى الحزب القيام بأي عمل من أعمال الدعوة إلى الصلاة أو الصيام لأن ذلك - حسب الدوسية - من مهام الدولة الإسلامية التي لم تقم» ١.

إن الحزب اليوم معزول عن الناس إلى درجة القطيعة، فانه لا يمتلك مرجعيات علمية يلتفت من حولها الناس وأما كل شؤون الدين معطلة مرهونة بقيام الخليفة واستعادة منصب الخلافة.

ولا تكاد تجد آثار السنة ظاهرة على المنتسبين للحزب فإذا سئلوا عن تخليهم عن مظاهر السنة بادروك إلى أن الشيء المهم الآن هو العمل لعودة الإسلام إلى الحكم، وأنه لا مجال الآن للكلام عن محقرات السنن وقشور الإسلام.

١ - الموجز في تقويم الفكر الحركي للتيارات الإسلامية ص ٤ (محاضرة ألقاها في مؤتمر الفكر الإسلامي والمستقبل الكويت ١٠/٨/١٩٩٣).

ومادة القرآن والحديث قليلة وإذا وجد فالكثير منها ضعيف. وكتبهم يغلب عليها القواعد الأصولية والنظريات السياسية وتمجيد العقل ويلاحظ عليهم كثرة اهتمامهم بأصول الفقه بما يفوق اهتمامهم بأصول العقيدة.

وإذا تكلموا في الدين مجدوا العقل وشككوا في نصوص الشريعة حتى قال أحد قائلهم «كل نص شرعي فهو غير قطعي بل ظني الدلالة، وما من آية من آيات القرآن الا وقد اختلف في تفسيرها». ولما قيل له «أفلي الله شك» سكت ولم يجب بشيء^١.

ولقد فشل الحزب في الدول الإسلامية وعجز عن أن يحقق أهدافه ولم يعد ثم أمل من أن تقوم له قائمة بعد أن حدد مدة ثلاث عشرة سنة لإعادة الخلافة وفشل في اعانتها في المدة التي حددها. وكان أكد أن استعادة الخلافة يجب أن لا تحتاج الى عشرات بل لا بد أن ينتج حتما على يد نفس الجيل الذي يقوم به هذا التثقيف^٢.

فطبيعة الحزب التعجلية وعدم ربط نظرياته حول الخلافة بالواقع الصعب سارع في رصده وكيل الضربات المتتالية له حتى تسبب في اقتياد زهرة الشباب المخلص إما الى السجن أو التقي أو القتل، وهي نتيجة كل عمل يتأسس على بنيان العاطفة والحماس المستقل عن الانضباط بضابط الشرع والمجرد من الصبر والتأني والحكمة. والآن يتخذ تحالفات مخالفة للمنهج مع طوائف تقف موقف العداء من السنة.

أخلف الى أن الحزب كان يفتقر الى تطبيق النظريات والمبادئ الفكرية التي كان يدعو اليها مما أسهم في انفضاض العديد من المنتسبين اليه.

وقن حزب التحرير أنه يمكنه الوصول الى سدة الحكم عن طريق تغيير انقلاب فكري وحدد الفترة بربع قرن على الأكثر ولكنه لم يحقق شيئا من

^١ - شريط (مناقشة مع أفراخ المعتزلة) مناظرة جرت بين الشيخ ناصر الدين الألباني وبين وفد من حزب التحرير فتموا لمناقشته.

^٢ - الخلافة ص ١٥٨.

ذلك فانسحب كثير من أعضائه، وعلموا أنهم أضاعوا الوقت في أماني وفي وضع القوانين وإصدار التعليمات لدولة غير موجودة.

بل قد شكك آخرون بأهداف الحزب وغاياته: معتبرين أن قيامه كان مديرا بغرض بليلة أفكار المسلمين حيث أن النتائج النفسية المقصودة هي تدمير نفسية هؤلاء الذين يجتذبهم الحزب لفترة من الزمن ثم لا يلبث أن يلفظهم عناصر شوهاة معدومة الانتاج مذبذبة التفكير صدمها الواقع المرير واحتارت بعد أن قام مبدأ حزبها على البحث عن النتيجة والتساهل في المحافظة على أسباب ووسائل التمكين وهي إقامة الدين بتفاصيله ونشر العلم بالتعلم والتعليم. وتلقت التثكيل والتعذيب لأسباب لا تتصل بالأسباب التي اضطهد من أجلها السلف الأوائل.

الحزب يرشح نواباً عنه في البرلمان اللبناني

ولكن كانت هذه الطريق عندهم أبعد الطرق عن تحقيق الغاية. وكان الطريق الأقرب منه في نظرهم الدخول في برلمانات لا تحكم الاسلام ولا تعتبره:

فقد رشح الحزب نائباً عنه في مجلس البرلمان اللبناني وهو الاستاذ علي فخر الدين ليصبح عضواً في مجلس النواب اللبناني.

كذلك رشح الحزب الشيخ أحمد داعور (من قلة قليلة فلسطين وعالم من خريجي الأزهر) نائباً عنه في البرلمان الأردني في الخمسينيات ثم ما لبث أن حكم عليه بالإعدام بعد الكشف عن محاولة الحزب للاستيلاء على النظام الحاكم.

وهذه الخطوة تتناقض ومبدأ الحزب في تحريمه لأي انخراط في الأنظمة التي لا تحكم بدين الاسلام. وغفل الحزب أن مصلحة إبقاء الاسلام عزيزاً أعظم مطلباً من المصالح الاجتماعية التي يستخدمها بعض المتساقطين المتخاذلين مبرراً لهم في الدخول الدليل بمظهرهم الاسلامي وإحاضهم الى برلمانات والأنصواء تحت أنظمة لا تعترف بالاسلام ولا تقيم له وزناً.

هجرة الحزب الى بلاد الغرب

ثم قدر لهذا الحزب أن ينتقل بسببياته ومنهجه المتعجل الى بلد غربي شغلته المادية المعاصرة عن التعصب الصليبي القديم حيث الحاجة الى بعث التعصب الصليبي القديم ليقابل البعث الاسلامي المتنامي في كل مكان، وتضليل الجالية المسلمة هناك والتي صارت جزءاً من المجتمع الغربي.

فقد قدم هذا الحزب خدمات جليلة لمن يريدون بعث هذا التعصب من حيث لا يريد، وصار تهوره وكلامه عن الخلافة مبرراً لاقتال مصليات الطلبة في الجامعات وتحجيم نشاطهم والمنع من إقامة المحاضرات والدروس بحجة سد ذرائع الشغب الذي قام به أتباع الحزب في الجامعات البريطانية حيث وقعت عدة حوادث أسفر بعضها عن بعض حوادث القتل.

وهنا كمين شيطاني تسبب بالجمود في دعوة النصاري في بلاد النصاري بعد أن بقيت الفرصة الذهبية للدعوة سائحة قبل نشر الحديث عن الخلافة وتفاصيل المبادئ التي يديم الحزب النقاش حولها كمسألة الخلافة وخبر الواحد وعذاب القبر.

وقد أدى هذا التهور والشغب دوره واستغلته أجهزة الإعلام أسوأ استغلال حيث صدرت أصوات تنادي بين الصليبيين بإراقة دمههم بالسيف، وليس من الحكمة أن يسمع النصاري ضرورة قتلهم قبل أن يسمعوا دعوة التوحيد ممن طلب اللجوء اليهم للأمن من الاضطهاد الذي هرب منه في بلاده!

وهذا مخالف لحال السلف الذين هاجروا الى الحيشة ليأمنوا على أنفسهم من ظلم قريش واضطهادها. فأحسنوا جوار من أحسن مجاورتهم وأمنهم من الفرع والملاحقة. كما قالت أم سلمة « لما نزلت أرض الحيشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذي ولا نسمع شيئاً نكرهه ».

ولك أن تتصور المسألة بافتراضها بشكل عكسي على النحو الآتي: لو أننا استقبلنا في بلادنا الإسلامية نصارى يدعون إلى (الجهاد المقدس) وبعودة الحملات الصليبية بزعماء الكنيسة ضد الاسلام وإراقة دم المسلمين كيف يستقبل الناس هذا الموقف؟!

والاسلام دين عدل وأخلاق يدعو إلى العدل والبر بكل بار لا فرق في ذلك بين المسلم وغيره كما قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) .

إن الدور الذي لعبه الحزب كان له أثر سلبي في امتصاص طاقات الشباب المسلم المتطلع إلى قيام الاسلام، واهدار هذه الطاقات بإشغالها في أمور تصرفهم عما يمكن أن يقوموا به من الدعوة بين مجتمع لا يحرم الدعوة إلى الاسلام، وتجعلهم يعيشون على أمل انتظار مجيء الخلافة بما يشبه انتظار الشيعة للمهدي المنتظر .

ثم المرحلة التي تلي ذلك إذا لم يتحقق الأمل: الإحباط وهي أخطر مرحلة تؤدي إلى الشك في الحل الاسلامي .

هل لهذا الحزب طروحات عقدية؟

وليست للحزب أولويات عقدية واضحة ولا يطرح عقيدة محددة بل مطلب الخلافة عنده هو العقيدة التي لها الأولوية على جميع جوانب العقيدة الأخرى، وكان الله قال (وما خلقت الجن والانس الا لاقامة الخلافة). وكأنه قال (ان الله لا يغفر أن لا تكون خلافة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

وفاتهم أن منهج النبوة مخالف لذلك وأن أولويات هذا المنهج اتقاز ما أمكن من الناس من النار وتبليغ الرسالة واقامة الحجة سواء قامت الخلافة أم لم تقم. فكم من الأنبياء لم يمكن له وصير على الدعوة وتبليغ الرسالة حتى مات. ومن الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معه أحد ولكنه بلغ هذا الدين وبرئت نمتة ولم يؤمن له أحد. لكن شأن الدعوة مؤجل عند الحزب الى أن تقوم الخلافة.

وقد تكرر بكثرة تحذير الله من دعاء غيره أكثر من أي موضوع آخر واعتبره شركاً ولم يكتر من الحديث عن أعداء المسلمين وتآمرهم عليهم. ومع ذلك لا يتحدث الحزب حول هذا الشرك المنتشر بين بل يتحالف مع من يخالفون هذا التحذير القرآني كالشيعة والصوفية.

وكما أنه كان هناك غلاة في حب أهل البيت كالروافض وغلاة في الإنكار ومحبة الأنبياء والأولياء كالصوفية فكنك هناك غلاة في موضوع الخلافة وموضوع الوحدة. حتى صار الموضوعان عقيدة تتأزلوا بسببها عن مبادئ عديدة، ووجدوا في حديث الشيعة عن ضرورة إقامة الدولة الإسلامية وضرورة توحيد المسلمين قاسماً مشتركاً فدعوا الى التقريب معهم وأثنوا على الخميني أولاً لتأليفه كتاباً عن الحكومة الإسلامية، مع أن موضوع كتاب الخميني يدور حول إقامة الدولة الشيعية الباطنية المرتقبة بقيادة المهدي المنتظر. ولم يكن يقصد حكومة من يسميهم بالنواصب!

إن طروحات هذا الحزب أرضية تدعو إلى التحرير ولكن: من أي شيء؟
إن كان المقصود تحريرهم من العقائد الباطلة فلماذا يغازلون أهلها
كالروافض والبريتوية كما يفعل مندوب الحزب عمر بكري في بريطانيا؟

ولئن كان المقصود بالتحرير تحرير الأرض فليعتقدوا صحة حديث قتال
اليهود في آخر الزمان فقد شكك عمر بكري التحرير في حديث :

« لا تقوم الساعة حتى تقتلوا يهود » وزعم أنه خبر آحاد « يصدق به »
أي لا يؤمن به لأن التصديق بالشيء حسب ما اصطلاح عليه هو وحزبه
مرتبة بين مرتبة الايمان ومرتبة الكفر: بمعنى آخر: منزلة بين
المنزلتين.

حزب التحرير يعرض الخلافة على الخميني

ومن الأدلة على غياب العقيدة عند الحزب مسارعة الى مغالطة الخميني، وعرض البيعة له ليكون هو خليفة المسلمين مقابل استجابته لبعض الشروط.

وذهب وفد من الحزب الى طهران لهذا الغرض وقابلوا الخميني وعرضوا عليه الخلافة ووعدهم خيراً، غير أنه تجاهلهم بعد ذلك ولم يرسل اليهم أي جواب مما اضطر الحزب الى ارسال رسالة أخرى يعاتبه فيها على هذا التجاهل عنوانها «نقد الدستور الايراني» وقد اعترفت مجلة الخلافة التحريرية بذلك^١.

وامتدحت مجلة (الوعي) التحريرية كتاب الخميني (الحكومة الاسلامية) الذي صرح فيه بأن الأئمة أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين. ولقد نقل ابن حجر الهيتمي عن العلماء تكفير من قال «الأئمة أفضل من الأنبياء»^٢.

أعظم شيء قام به الخميني في نظر الحزب

ولم يبال الحزب بهذا الكفر والشرك لأن التحذير من الشرك ليس من أولويات عمله فان الأولوية للسياسة والخلافة فقال التحريريون:

«أهم عمل سياسي قام به الامام الخميني هو تأليفه كتاب (الحكومة الاسلامية) وملاحظته هذا الأمر حتى ألف الحكومة نفسها... وقد أطلق الخميني شعار: لا شرقية ولا غربية بل اسلامية... وهذا لا يعني أن الخميني لم تكن له أخطاء ولكن ليس الآن وقتها»^٣.

ولكن: إن لم يكن الوقت الآن مناسباً للتحدث عن أخطاء الشيعة في سب الصحابة واتهامهم بتحريف القرآن والردة عن الاسلام فمتى يحين؟

^١ - العدد ١٨ تاريخ ١٩٨٩/٨/٤ الصفحة الثانية.

^٢ - الحكومة الاسلامية ص ٥٢.

^٣ - الإعلام بقواطع الاسلام ص ٧٥ ط: دار الكتب العلمية..

^٤ - مجلة الوعي التحريرية عدد ٢٦ السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٠٩ حزيران ١٩٨٩.

لماذا عندهم متسع من الوقت للتحدث عن غيره من حكام المسلمين ولا وقت لديهم للتحدث عن هذا الرجل؟

أليس هذا دليلا غياب العقيدة عند هذا الحزب لجهله أن من عقائد الشيعة القول بتحريف القرآن والحج إلى مقابر الأئمة والاستغاثة بهم من دون الله وسب أصحاب رسول الله وأزواجه والنقل في الأئمة والقول بعصمتهم حتى فضلهم على الأنبياء والملوك.

فهكذا يخون حزب التحرير الأمة بتسليم قيادتها إلى الشيعة. وكأنها خولته التكلم باسمها. وهذا تجاهل بتاريخ الفاطميين الأسود الهدام في العالم الإسلامي حيث فعلوا بالمسلمين ما لم يفعله اليهود ولا النصارى.

فهو حزب سياسي يحت كغيره من الأحزاب الأخرى التي لا تنطلق منطلقا عقائديا له الأولوية على كل شيء وإنما تنشئ قالبا سياسيا يجتمع عليه كل من وافق هذا القالب ولو كان فاطميا باطنيا شيعيا أو خارجيا.

ونحن إنما نقول هذا نصحا للأمة وتحذيرا لها ومنعا من النش في الدين. وقد أوضح الامام مسلم صاحب الصحيح أن من لم يكشف معاييب الرواة كان إنما يفعله ذلك غاشيا لعوام المسلمين.

فكيف بمداهنة ومناققة أهل البدع وستر معاييب من جعلوا دينهم سب الصحابة واتهامهم بتحريف القرآن ثم بعد ذلك يغض معظم الحركات الإسلامية الطرف عن ذلك ويمتدحون مذهبهم ورموزهم، ففتحي يكن يصف الخميني بمجدد القرن العشرين وإذا ذكر اسمه قال «رضي الله عنه وأرضاه» والغوشي يكتب إهداء كتابه الجديد لروح الخميني، وهذا والله إن هذا هو السقوط.

ولم يكن لحزب التحرير أن يتعاون مع الشيعة لو أنهم اتهموا التبهاتى بتحريف القرآن بل لجرموا التعامل معهم.

وما نتوقع من الاخوان أن يتعاونوا مع الشيعة لو أنهم اتهموا حسن البنا بتحريف القرآن، ولكن حزبية هؤلاء جعلت ولاءهم لروساء أحزابهم أعظم من ولائهم للصحابة وغيرتهم على أعراضهم أن تنتهك!

رئيس التحرير : عمر بکری محمد

العدد ١٨ - الجمعة ١٤١٠/١/٢ هـ - الموافق ١٩٨٩/٨/٤ م

صورة من مجلة الخلافة تدعو فيه الخميني الى خلافة المسلمين

الإمام الخميني

أهم عمل سياسي على الإطلاق قام به الإمام الخميني هو تأليفه كتاب (الحكومة الإسلامية) وملاحقته هذا الأمر حتى ألف الحكومة نفسها.

الراي الذي كان سائدا في صفوف الشيعة منذ غيبة الإمام المهدي انه لا يجوز لأي مؤمن ان يتصدي للسلطة ويقيم دولة أو حكومة. وذلك لسوء بعض الاحاديث (منها الضعيف ومنها الموضوع) التي تعتبر كل راية ترتفع قبل خروج الإمام المهدي هي راية طاغوت. والتي تعتبر أن الإمام المهدي لا يخرج حتى تمتلئ الارض فسقا وجورا فكانت النظرة السائدة بناء على ذلك هي ان الذي يخفف من الفسق والجور يكون عاملا على تأخير ظهور المهدي عليه السلام.

في كتابه (الحكومة الإسلامية) وجه الخميني ضربة قاصمة إلى هذه الفكرة. ولم يكن من السهل مواجهة هذه الفكرة بعد ان عاشت قرونا طويلة. ولولا صلابة الخميني وقوة إرادته لما تجرأ على مواجهة الراي العام الشيعي لتغييره. وقد نجح إلى حد كبير. ولولم تكن له إلا هذه القضية لكانت.

وقد أطلق الخميني شعارا لا شرقية ولا غربية بل إسلامية. وحذر في كثير من كتاباته من القضية الغربية. ومن الأفكار غير الإسلامية. وقد هز العالم عنقودا من الزمن. وأجبا الأمل في نفوس الذين كانوا قد بنسوا من عودة الإسلام إلى مركز القيادة والسيادة في العالم من جديد.

وحيث أرسل الخميني رسالته إلى غورباتشوف يدعو إلى نبذ الشيوعية ويجذره من الواقع إلى الرأسمالية. ويدعوه إلى إرثاسة الإسلام واتباعه فإنه يذكر المسلمين بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَابِعُوا سُلَالَتَ الْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ مَنَّكَ تَأْمَنُونَ بِأَمْنِهِ﴾ فيعلمون أنهم هم القادة الوحيدون الذين يحملون النور والهداية. وأن البشرية تعيش في نسبة وضلالتة. وهي بحاجة إلى هذه الهداية.

وهذا لا يعني أن الخميني لم يكن له الخطاء. ولكن ليس هذا وقتها. وإنما نسأل الله له الرحمة والعفو للجميع المسلمين.

ونود أن نذكر خليفة السيد علي خامنئي بما قاله في خطاب الجمعة قبل حوالي شهر من أن يستقر إيران هو أصل كل مصائب المجتمع. وأن ضرره طال جميع طبقات المجتمع ونرجو أن يكون لدى حكام إيران بعض الخميني الجراء على التمسك بما هو حق والعودة عما هو غير ذلك.

صورة من لقاء مجلة الوعي على الخميني وكتابه «الحكومة الإسلامية»

غياب حديث الحركات الإسلامية عن سنن الله

والحزب لا يعالج الأسباب التي ضاعت بسببها الخلافة وفقد المسلمون أرضهم وشوكتهم. ولا يلتفت الى ظاهرة الاعراض عن الله في هذه الأمة وتفشي البدع والشرك ولا يلوم العصاة والمبدلين لسنة نبيهم ولا يربط سنن الله الشرعية بسننه الكونية انطلاقاً من قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). ومن هذا الفساد: الفساد الاعتقادي الذي تردى اليه المسلمون من انتشار البدع والشركيات والأضرحة التي ملأت المساجد.

وانما يريدون من الله أن يغير حالهم من غير أن يغيروا ما بأنفسهم وكأنهم يخافون المصارحة بتلك الحقيقة حتى لا ينفض الناس عن الحزب أو الجماعة لأن الأصل عندهم التجميع الجماهيري.

فهو حزب يقفز من مرحلة التكوين والاعداد التربوي الى الخلافة بينما يفتقد مرحلة التربية والعبادة وهو الهدف الذي تفرغ له النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في بناء لبنة المجتمع الجديد، وكان يطبقه المهاجرون الأوائل أثناء وجودهم في الحبشة.

خطباء ما يطلبه المستمعون

فأله يقول (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) وخطباء العاطفة يقولون: كيدهم يضركم. يسترون بخطبهم السياسية تقصيرهم في تعلم الدين وتعليمه ويسترون جهلهم بالهيب مشاعر العامة وعواطفهم ذات التأثير المؤقت ساعة من سنة ثم يتركونهم بعد ذلك غارقين في إغراض وانحراف هما سر تسلط العدو عليهم.

نعم إن العدو يكر بالليل والنهار ولكن: هذا المكر ليس جديداً، فقد كان ملك غسان يتابع أحوال المسلمين في المدينة وما أن أمر النبي ﷺ بمقاطعة تعب بن مالك حتى أرسل إليه رسالة يعرض عليه فيها أن يلحق به حتى يواسيه ويكرمه.

فلم يختلف المكر ولكن اختلف حالنا فلم نعد نتصف بالصبر والتقوى فزالت حصانتنا من أيدي عدونا ومكره بمعاصينا وزال ضمان الله برد مكرهم إن صبرنا واتقينا (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط) وكان علينا أن نعلم أنه إذا أضربنا مكرهم فقد أخللنا بشرط (وإن تصبروا وتتقوا) فلو كان الصبر والتقوى غالبين في الأمة لما ضربنا كيدهم.

دروس نبوية مهجورة لمن يعتبر!!

لقد بين النبي أن الأمة ستعرض للمذلة والضعف لكنه بين أيضاً السبيل والدواء المخلص من هذا الذل الواقع بالأمة.

روى البيهقي والحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم.

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله: سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم».

أفاد الحديث أننا إن اجتئنا ما حذر منه لن يقع الذل، وإلا فاندل مسبوق بذنب كما قال تعالى «ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً» فلا يمكن أن نكون شاكرين مؤمنين ثم يسلب الله علينا عدونا وهو الذي وعدنا بالتصبر إن نحن نصرناه!

وعن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقالوا: أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

فهذه صفة المسلمين اليوم فهم مع كثرتهم ليس لهم من الإيمان الصحيح ما يؤهلهم للسيادة فقد وقع فينا ما وقع بيني إسرائيل كما قال تعالى ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾، ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾. ولا تنتصر الأمة والغلبة للحبث كما قالت عائشة: فأهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الحبث: فما لم يتم تغليب نسبة الطيب في الأمة لن يتحقق النصر. فمن ظن أن ضعف الأمة وقوة عدوها اليوم وهوانها على الأمم الأخرى إنما حصل بدون سبب ارتكبته - فكأنه ادعى أن الله أخلف وعده من غير سبب. غودج من قتال اليهود في سبيل الأرض:

قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيب إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليل منهنم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾. في هذه الآيات عبر وفوائد جمة. فهي:

تبين تجاهل بني إسرائيل لسنن الله الكونية كسبب لإخراجهم من ديارهم. أنهم تذكروا القتال في سبيل الله فقط عندما أخرجوا من ديارهم وأموالهم وقد قالوا لموسى من قبل: ﴿فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾. فعاقبهم الله بالتيه في الأرض. فمفهوم الجهاد عندهم لاستعادة الأرض. وليس لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى. فولاؤهم ووفائهم للأرض أعظم من ولائهم ووفائهم للدين. والمطلوب أن ينصرهم الله مهما فسد حالهم.

أنهم اعترضوا على اصطفاء الله لطالوت واعتبروا أنهم أحق بالملك منه. أنهم لما كتب عليهم القتال تولوا الحرصهم على الدنيا. فهذا غودج يوضح لنا أولوية القتال للأرض عند اليهود، وتقاعسهم عن العمل لهذا الدين. فلم يلتفتوا إلى إصلاح حالهم الفاسد الذي هو سبب فقدان أرضهم وإنما التفتوا إلى جهاد من أجل الأرض ونجاها لأكلي شيء غيره. وقد جعل الله قصص بني إسرائيل عبرة لنا حتى لا نقع فيما وقعوا فيه:

ال خليفة المؤمن يحتاج الى مجتمع مؤمن

مقارنة مفيدة بين فرعون وهرقل

وحتى لو وجد حاكم طيب يريد تحكيم الشريعة فلن يتسنى له الظهور بذلك الا بوجود بيئة قابلة للاستجابة لله والرسول. هذا هرقل عظيم الروم دعا قومه الى مبايعة النبي ﷺ فحاصوا حيصة حمر الوحش، فلما رأى ذلك منهم خاف على ملكه فناداهم وقال «أردت من ذلك أن أختبر مدى ثباتكم على دينكم».

وفي المقابل نجد أن سبب تمكن فرعون من قومه وتلبسه عليهم بالانقوايل هو فسوق قومه «فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين».

ومن هنا وجب تهينة الرعية للحاكم أو الخليفة المقبل فتقدم الدعوة الى الله على الدعوة الى فقه السياسة وترك الرعية بلا دعوة حتى يأتي خليفة ما الله أعلم متى يكون قدومه؟

ان كشف مخططات العدو أمام عامة الناس على المنابر ليس الا زيادة في توهينهم كما كان يقال للمؤمنين من قبل (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم). فما هو الأثر الذي أحدثته تلك الخطب على المسلمين التقليديين بعد تحذيرهم من مخططات العدو؟ هل غيرت اتجاههم وأحدثت عندهم الخضوع المطلق لله؟

كم كانوا يخيفون الناس من الشيوعيين الذين انهاروا بين ليلة وضحاها. ولا أذكر حديثاً واحداً يحكي أن رسول الله ﷺ كان يقف على المنبر يحذر من مكر الأعداء ومخططاتهم. ومع ذلك فقد نصره الله.

وكان الأجدى الدعوة العودة الى التمسك بالسنة. وتعليق القلوب بالله واليوم الآخر وتثبيت معنى التضحية والبذل في سبيل هذا الدين. وأن تقرر عندهم أن تسلط العدو علينا كان بسبب من أنفسنا.



همومهم تختلف وهموم النبي

لقد غدت عقيدة التوحيد ثابوتية عند هؤلاء لأن أهدافهم صارت أرضية فهم يتحدثون اليوم عن التعايش مع الفئات والفرق الأخرى والتوحيد مع الروافض والدفاع عن الأرض، كل هذا مع تغييب الحديث عن العقيدة.

ولم يكن هذا هم النبي الذي خرج من أرضه من أجل تبليغ الدعوة في مكان يستطيع أن يدعو فيه. بل كان همه إنقاذ من أمكن البشر حتى أنه رفض عرض ملك الجبال أن يطبق على أهل مكة الأخشيين. فقال « بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده».

وكان يعطي الرجل العطاء وغيره أحب إليه منه مخافة أن يكبه الله في النار.

وكان ابن مسعود يأتي نادي قريش ليستمعها وحي الله. فينهالون عليه ضرباً.

ويوجد من يحتج بمثل هذا الأثر وهو حجة عليهم، فإن باستطاعة الواحد منهم اليوم أن يبلغ القرآن في أماكن لا تعرف الإسلام وهي في نفس الوقت لا تمنع من التحدث عنه.

فنحن أمة لا نهتم فقط باسترجاع الأراضي المسلمة. وإنما نهتم بخراف بني آدم الضالة الشاردة من الهندوس والبوذيين والتنصاري واليهود وغيرهم أن يموتوا على مثل قبل دعوتهم ومن دون أن تقام الحجة عليهم. أما الأرض فالعاقبة فيها للمتقين (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).

طلب النصرة من الكفار

ومن علامات عدم تقيد الحزب بضوابط العقيدة تجويزه طلب النصرة ممن بيده السلطان ولو كان كافرا وجهله أن الكافر لن يعين على إقامة الخلافة وهو يعلم أن النصرة من أجل إقامة الخلافة هذا جهل بطبيعة العدو ومكره.

قال النبهاني «يجوز أن يستعان بالكفار بوصفهم أفراداً وبشرط أن يكونوا تحت الراية الإسلامية بغض النظر عن كونهم ذميين أو غير ذميين سواء كانوا من رعايا الدولة الإسلامية أم لم يكونوا»^١.

ويجوز للكافر أن يكون عضواً في البرلمان الإسلامي وأن يكون رئيس الدائرة أو قائد الجيش في الدولة المسلمة كافراً^٢. وجاء في الدوسية (ص ٦٢) «والجهاد واجب تحت راية كل حاكم أيا كان» فهم يرون الجهاد تحته سواء أكان يرا أو قاجراً، حكم بالاسلام أو حكم بأحكام الكفر، مخلصاً للأمة أو عميلاً لدولة كافرة. وجوز أن تدفع الدولة المسلمة الجزية للدولة الكافرة^٣.

وقد طلب الحزب النصرة من سوريا والعراق وهما عنده نظام كفر ولكنهما لم يستجيبا له. وطلب من العقيد معمر القذافي أن يسلمهم الحكم لإعلان الخلافة سنة (١٩٧٨) وقد بلغ من الغفلة أن ظن امكانية قيام الخلافة بمساعدة أعدائه أو أن يستجيبوا له ويسلموه مقاليد الحكم وكرسي الرئاسة التي ما بلغوها الا بشق الانفس. وهذا جهل مطبق بالخصوم وبدائية كبيرة في التعامل مع الأحداث السياسية التي أخذت منهم مأخذها.

١ - الشخصية الإسلامية ١٥٤/٢

٢ - نشرة أجوبة وأسئلة ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠/٦/٥.

٣ - كتاب نداء حار الى العالم الإسلامي ١٠٩.

وهذا المبدأ مناقض لخطاباتهم الحارة ضد الغرب والامبريالية الأمريكية، وغالب هذه الحركات إما أن تنتهي بالركود والسكوت أو تتخذ لها خطاً معاكساً من المداينة والمسايرة بعد تعرضها للضغط والفتن ترغيباً وترهيباً، وأكثر هؤلاء لا يقدرون حقيقة كفر عدو المسلمين ومدى مكره بالرغم من ادعائهم إجادة السياسة وفقه الواقع.

وهذا ما جعل الدكتور عبد الله النقيسي يصف مبدأ طلب النصر عند حزب التحرير بأنه «مفهوم بدائي جداً في العمل السياسي المعاصر». لأن هذا جهل بهذا الكافر وبموقفه من هذا الدين، ومكره بها.

وهم يسبون من الأحكام من لم يكتب الكتاب الأخضر ولم يصرح بأن الأمة أفضل من الأنبياء بينما يعرضون على القذافي والخميني أن يقيما دولة الخلافة: فقليلاً من الانصاف.

إن نصر هذه الأمة يختلف عن انتصار الكفار على بعضهم البعض، إن نصرها متعلق بطاعتها لربها وسيرها على صراطه المستقيم. فالتنظر إلى اصلاح الأمة من داخلها وتعبيد المسلمين لربهم وتعلقهم به رجاء وخوفاً ومحبة وخضوعاً وتوكلاً ونبذ آلهة التصوف وأولياء الجبل خطوة على طريق النصر، ويغنيها عن تحالفاتها المشبوهة وبخولها الذليل تحت ألوية الكفر وطلب النصر من الكفار ليمنحوها الخلافة. وأتمنى أن يكون هؤلاء الكفار مغفلين ليمنحوها الخلافة، لكنني لست أعتقدهم مغفلين لهذه الدرجة كما يظن سياسيون.

ولقد رأينا شيئاً من فقه هؤلاء السياسيين حين نهافتوا على من خدعهم ووضع عبارة (الله أكبر) على العلم فنسوا ما ارتكبه من مجازر بحق الدعوة والدعاة وغازلوه و«أوحى اليهم» أن شمس الخلافة بدأت تسطع من العراق!!!

وهذه الخدعة تنطلي على من أسسوا بنياتهم على أصول عاطفية وأولويات سياسية تتجاهل الضوابط الشرعية.

الغاية لا تبرر الوسيلة

قال الدكتور أحمد البغدادي الذي يثني عادة على الحزب « لقد فشل حزب التحرير في تحويل هذا الاسهام الفكري الى واقع ملموس مما اضطره في النهاية الى التشديد على « طلب النصرة» من أية جهة كانت لتحقيق المرحلة الأخيرة التي يحلم بها وهي الوصول الى السلطة: فكانت النتيجة المأساوية للعديد من المحاولات التي قام بها أعضاء الحزب في مصر وتونس.

وبذلك أصبح وجود حزب التحرير في الساحة السياسية معادلا للانتحار السياسي». ثم ذكر أن من أسباب ذلك أن الحزب من الأحزاب التي تنهج نهجا انقلابيا لا يعرف التدرج^١.

في الولاء والبراء

إن موالة أهل البدع القائلين بتحريف القرآن وكفر الصحابة مخالف لدين الاسلام فكما أنهم يتقنون بالبراءة من الحكم بغير ما أنزل الله فليتبرأوا من أهل البدع براءتهم من غيرهم. فإن أهواء أهل البدع أخطر على الناس من ظلم الحاكم أو كفره.

في القضاء والقدر

قال تقي الدين النبهاني « أن أهل السنة عندهم احتيال على الألفاظ في هذه المسألة» أي القضاء والقدر^٢. وكأنه يرى نفسه خارجا عن أهل السنة والجماعة. اللهم الا أن يقصد الماتريديّة والأشاعرة فتسميتهم أهل سنة مع الاعتراف بتحليلهم فيه تناقض.

^١ - حزب التحرير ٤٠ دار قرطاس. الكويت ١٩٩٤

^٢ - الشخصية الاسلامية ٥٤/١.

فإن المحققين من الأمّاعة كالجويني اعترفوا بانحراف المذهب الأشعري في القدر مما اضطر هو والباقلاني الى الاعتراف بضرورة إجراء تعديل في مفهوم المذهب للقدر.

وقد زعم الحزب أن «مسألة القضاء والقدر لم تأت في الكتاب ولا في السنة بهذين اللفظين مقرونتين»^١.

وهذا خطأ فقد قال النبي ﷺ «أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس»^٢.

في الإيمان بالعقل

قال الحزب في «وقد بنى الاسلام العقيدة على العقل» وقالوا «لأن عقيدة الاسلام عقيدة عقلية وعقيدة سياسية»^٣.

فالعقل عند التحريريين أصل من أصول الدين لأن العبد يعرف ربه بالعقل^٤. ويناقض ذلك قول عمر بكري التحريري أن التفرق حدث بين المسلمين لأنهم استخدموا عقولهم في أمور العقيدة^٥.

وتمجيد العقل لوثة اعتزالية سبق اليها أضل خلق الله كالفلاسفة والمعتزلة حيث حملوا العقل ما لا يحتمل فخرجوا بعقولهم عن المعقول والمنقول. واتخذوا عقولهم آلهة ونتج عن ذلك العبث بآيات الله والقول في الله وصفاته بغير علم ولا هدى.

^١ - الدوسية ص ١٨.

^٢ - أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/٥) وحسنه الحافظ في (فتح الباري ١٦٧/١٠).

^٣ - كتاب الإيمان ص ٦٨ حزب التحرير ص ٢٦.

^٤ - تعص عبد العقل.

^٥ - تفسير المائدة ٢/٢٩,٠٠.

في الأحكام اليومية

ولا يرى الحزب القيام بأي أعمال من دعوة إلى صلاة أو صيام أو إقامة حد أو غيرها من الأحكام لأن هذه الأحكام في نظره من خصوصيات الدولة الإسلامية بعد قيامها». وعندهم لا تقوم قائمة حتى يأتي الخليفة فقد قال عمر بكري «في غياب الخليفة لا يوجد شيء اسمه قضاء».

في الأخلاق والروح والتعلم والتعليم

وينتقد الحزب الجمعيات الإسلامية التي جعلت الدعوة إلى الأخلاق من منهجها ويقرر أن الأمم لا تنهض بالأخلاق وإنما بالعقائد والأفكار التي تحملها وبالنظم التي تطبقها»^١.

ويصرح بأن «الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة لا يمكن أن تؤدي إلى إصلاح المجتمع ولا إلى انهض الأمة لأن إصلاح المجتمع إنما يحصل بإصلاح الأفكار... فالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ليست دعوة لحل قضية المسلمين المصيرية»^٢. وأنكر النبهاتي - مؤسس الحزب - وجود أشواق روحية في الإنسان^٣. وترتب على هذا الإنكار كما هو ملاحظ قسوة وجفاء في سلوك أعضاء الحزب، واقتدوا للسماحة واللين والقبالية للمناقشة والحوار.

ومن هنا كانت رموز تتسم الحزب بالجفاء والقسوة وتكرار المواضيع السياسية التي لم تستفد منها الروح ولم ترفق القلب بل زادت قسوة.

وهذا ما يفسر مواقف بعض أعضائه غير الحميدة مع الجماعات الأخرى. وتميزهم بالجدل. وهو الأمر الذي جعل الدكتور عبد الله النفيسي يقول بأن الحزب «يضمّر عداً ثابتاً لكل التيارات الوطنية والقومية

١ - شريط الصيام ٢٥، ٢٠٠.

٢ - التكتل الحزبي ١٨.

٣ - منهج حزب التحرير في التغيير ٢٦-٢٧.

٤ - نظام الإسلام ٦٦ الفكر الإسلامي المعاصر ٢٠٢.

والاسلامية في الوطن العربي مما جعله حزباً معزولاً ولا يتمتع بعلاقات سياسية جيدة مما حال دون تشكله ونضوجه في صيرورة شعبية.

وانحسر مفهوم الروح عند الحزب الى موضوع فكري بحث حتى أهمل الأتباع التواقل والمأمورات: ظاهرها وباطنها. وضعفت صلتهم بالقرآن وتهاونوا بأمور الدين وانعدم طلب العلم وصار امر الخلافة هو الأمل المنشود الذي علق كل شيء في أمور الدين والدنيا على وجوده.

الزيادة في الستر عندهم انهيار في الخلق

وحمل تقى الدين النبهاني على من يقولون بأن المرأة كلها عورة واعتبر ذلك انهياراً في الخلق، ورأى أنه لابد من اجتماع الرجل بالمرأة، ولا بد من تعاونهما للتبادل التجاري.

فهذه الزيادة في الستر عنده انهيار في الأخلاق. وهذا الاتهام فريد من نوعه فعادة ما يتهم من يقول ان المرأة كلها عورة بالتعصب أو التشدد أما أن يكون هذا القول انهياراً في الخلق فنقول لا أعتقد أن قد سبقه إليه أحد.

لا علاقة لهم بالوعظ والتعليم

ويحصر الحزب الزاوية التي ينطلق منها في الدعوة بالجانب السياسي فقط فيصرح بأن « حزب التحرير هو تكتل سياسي وليس هو تكتلاً للأعمال الخيرية... » قالوا « فعمل الحزب كله عمل سياسي وليس عمله تعليمياً فهو ليس مدرسة كما أن عمله ليس وعظاً وإرشاداً بل هو عمل سياسي ».

ومع ذلك فهم يحتجون دائماً بقوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ».

١ - النظام الاجتماعي في الاسلام ص ١٠ و ١٢٨.

٢ - منهج حزب التحرير في التغيير ٢٨ و ٣١ كتاب حزب التحرير ٢٥.

التأصيل السياسي لا العلمي

إننا لا ننتقد على الحزب اهتمامه بالسياسة. ولكننا ننتقد عليه انشغاله بالسياسة على حساب الأمور المهمة الأخرى.

ومن كان تأصيله سياسيا بلا علم شرعي يضبط به سياسته بضابط الشرع فمآله التخبط السياسي.

ويشهد لذلك أحداث كثيرة منها موقف الحزب من المعتدي على الكويت حيث انحاز هو وكثير ممن يدعون فقه السياسة الى العراق لمجرد وضعه عبارة (الله أكبر) وهذه واحدة من خدع السياسة التي انخدع بها من تحرروا من ضوابط الشرع وفتاوى علماء الدين.

التعامل مع أهل البدع

ومن لا يضبط السياسة بضابط الشرع فلن يرى بأسا في التعامل مع مذاهب المبتدعة كالزوافض ومدحهم، لأن مصلحة السياسة المتحررة من قيد الشرع تتطلب ذلك.

ولا نعجب حينئذ أن نرى الحزب يقلل من شأن المذهب الشيعي ويجعله مذهبا خامسا الى جانب المذاهب الأربعة الشافعية والحنابلة والحنفية والمالكية فيقول:

« ليس هناك فرق بين شافعي وحنفي وجعفري وزيدي، فكل حكم شرعي استنباطه من قبل أي مجتهد حسب الأدلة الشرعية يجوز اتباعه حسب الأدلة الشرعية... وأما ما يثار من تفريق أو تمزيق بين مني وشيعي فإن وراءه قوى حاكمة على الإسلام يقف الحزب ضدها ويحاربها بكل ما يستطيع! »

نتيجة الغلو في الخلافة

ان غلو التحريريين في مسألة الخلافة جعل كل إثم سوى إثم فقدان الخلافة صغيراً.

فهم لا يجهلون أن الشيعة يسبون صحابة النبي ﷺ ويتهمونهم بتحريف القرآن ويسبون أمهات المؤمنين. ولكن صغر ذلك في عيني الحزب بالنسبة لما هو أعظم عندهم من مسألة تحريف القرآن: وهو قضية الخلافة ولو كانت على حساب تحريف القرآن وسب الصحابة وعبادة أهل البيت.

فهم مستعدون للتنازل عن العقيدة والتغاضي عن المخالفات فيها من أجل مصلحة السياسة واسترداد الخلافة (زعموا).

وموضوع كتاب الخميني (الحكومة الإسلامية) يتفق وطروحات الحزب، فلذلك شعروا بوحدة الأفكار والطروحات بينهم وبينه فتجاهلوا التباعد العقدي بينهم وبينه، لأن الخلافة عندهم هي العقيدة، وكل شأن من شئون الأمة فهو معطل مؤخر متروك حتى تقوم الخلافة!

ورأوا في (قم) بصيص أمل لعودة الخلافة من هناك. فلهذا ذهب الحزب إليه وعرض عليه أن يكون خليفة المسلمين. وهذه بدائية تامة في حقل العمل الإسلامي. وتجاهل للحدود العقائدية التي لا يجوز تجاوزها مهما كانت الأسباب.

دليلهم على تعدد الجماعات

ويستدل حزب التحرير على شرعية تعدد الحركات والجماعات وإنشاء الأحزاب بقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^١ والجواب أن الحزب يحتج بهذه الآية على جواز التحزب في الوقت الذي لا يرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلاً يتوصل معه إلى تغيير وضع الأمة. فقد قالوا « أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس هو الطريق إلى إقامة الخلافة وإعادة الإسلام ».

• وقد صرحوا بأن « عمل الحزب كله عمل سياسي وليس عمله عملاً تعليمياً وليس وعظاً وإرشاداً بل هو عمل سياسي ».

والجواب أن المسلمين لم يعرفوا الحزبية بعد نزول الآية، فقد طبق السلف هذه الآية فأمرُوا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولم ينشئوا لذلك حزباً، فهل غاب هذا القهم عن السلف فأهملوا تطبيق الآية حتى جاء حزب التحرير وعمل بها؟

• أنه من المعلوم أن هناك أحزاباً أخرى تجعل من هذه الآية دليلاً على مشروعية تحزبها كالأخوان المسلمين وغيرهم. وهذا مدعاة للتحزب والانشقاق لأن الأحزاب تكثر بسرعة ولا يعود من الممكن تقييد التحزب بحزب أو حزبين.

في حين أن الآية نصت على اختيار أمة واحدة لا أمماً شتى، ولم يتحدث القرآن عن أحزاب إسلامية وإنما أجاز وجود حزب واحد وهو حزب الله في مقابل حزب الشيطان.

١ - منهج حزب التحرير من التغيير ٢١.

٢ - منهج حزب التحرير في التغيير ٢٨ و ٣١.

لقد قال عمر بكري بالأمس « الله أذن لنا أن نكون فرقاً » واحتج بنفس الآية « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ويعد أن قالها بالأمس يوم أن كان تحريرياً فتح اليوم دكاناً جديدة باسم « المهاجرون » من غير أن يبين سبب تفضيل الحزب الجديد على الحزب القديم الذي التزمه سنوات عديدة: ولا يمكن تفسير هذا العمل إلا بأن الرجل يسعى لفتح دكاكين وأحزاب بين المسلمين. فبالأمس كان تحريرياً واليوم يفضل حزب « المهاجرون » عليه. وغدا يفتح دكاناً جديدة يفضلها على « المهاجرون ». وهذا مدعاة للتفرقة والتشيع. وقد نهى القرآن عن ذلك « ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ».

• لو كان معنى (أمة) (حزب) لتشتتت هذه الأمة إلى أمم شتى فإن الأحزاب اليوم كثيرة كل منها يستدل بالآية. فلا يعود ثمة حل لمشكلة الحزبية إلا أن نقول: إذا قام في الأمة حزبان فحاربوا الآخر منهما. وذلك على غرار قول النبي ﷺ « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ».

فإن الأحزاب متنافسة فيما بينها ويمكن وصفها بأنها قبائل سياسية، قابل قتلها للاحتراق في أي لحظة كما حدث في أفغانستان حيث ظهر غيظ قلوب المتحزبين فمال بعضهم على بعض قتلاً وقصفاً على غرار ما كان يحدث بين الأوس والخزرج قبل الإسلام. فليقلعوا عن الحزبية أولاً ثم ليتحدثوا بعد ذلك عن وحدة الأمة. فالحزبية من أهم عوامل التفرقة.

وهؤلاء الحزبيون الآخرون لا يسلمون لحزب التحرير أن يكون تلك الأمة المعنية في القرآن. فهاهو عمر بكري الذي بقي في حزب التحرير مدة خمس عشرة سنة يقرر اليوم تركه وإنشاء حزب آخر جديد في جسد الأمة واسمه حزب « المهاجرون » من غير أن يبين سبب هذا الترك، ولم ينتقد الحزب مما يبعث على الشك أن تكون القضية ترويج للحزب بين عامة المسلمين الانجليز الآسيويي الأصل وبث الفوضى الدينية بينهم!!

ولتكن من حزب التحرير أمة!!

وماذا لو قلنا: ولتكن من حزب التحرير أمة يدعون الى الخير: هل يرضى الحزب أن ينشأ داخل الحزب أمة أو أمم يدعون الى الخير؟ أيرضى التعددية في بنية أمة الاسلام ولا يرضاها في بنية الحزب؟

لماذا يجوز لي أن أنشئ حزبا بل وأحزابا في دين محمد.

ولا يجوز لتحرير أن ينشئ حزبا جديدا في حزب النبّهاني؟

ثم ان منهج الحزب الاهتمام بالجماعة كجماعة لا كأفراد على قاعدة «أصلح المجتمع يصلح الفرد» مخالف للمنهج النبوي الذي بنى أفرادا غيروا بعد ذلك أمما.

الحزبيون يكون على تحزب الأمة!!

ومن العجيب أن يتحدث الحزبيون عن وحدة الأمة وقد مزقتها تحزباتهم، فهل تحزيب الأمة حلال لهم حرام على غيرهم؟

هم في الحقيقة آخر من يحق له التحدث عن وحدة المسلمين. لأن ترك الحزبية خطوة على طريق الوحدة، فإن الحزبية والوحدة ضدان لا يجتمعان، والتحزيب يودي بالأمة الى التخریب.

ونسأل: هل كانت هذه الأمة - بالمفهوم التحريري الحزبي - موجودة قبل حزب التحرير أم كانت معدومة؟

ولماذا تسمى نفسها باسم (التحرير) وهو ما يخالف المهمة التي كلف الله بها هذه الأمة؟

وما هي سمة أعضاء هذا الحزب الذين جلهم من حليقي اللحى جهال الدين، لا يبدو عليهم أثر الدعوة ولا طلب العلم وإنما هم من المتعجلين الذين لا يربطون سنن الله الكونية بسننه الشرعية ولا صبر لهم على طلب العلم لأنه طريق طويل وشاق لا علاقة له عندهم بالوصول إلى الهدف. ولا عرفناهم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر وإنما عرفناهم يؤجلون النهي عن المنكر إلى قيام الخليفة «إن شاء الله» لأن ضياع الخلافة هو المنكر الأكبر وأصل الشر وإنكار المنكرات التي دونه غير مجدية حتى يتم استئصال الشر من أصله!

وكان الله عندهم لا يغفر أن نفقد الخلافة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وقد قال لي أحد أعضائهم: ماذا ينفع إصلاح أغصان الشجرة إن كانت جذورها فاسدة يجب اقتلاع الشجرة من جذورها.

فقلت له: هذا المثل لا ينطبق على واقع الأمة. والمثال الأقرب من هذا إلى الواقع أن نقول: إذا كان عندك قطيع من الغنم وانطلقت كل واحدة منها إلى جهة مختلفة وكان بإمكانك أن تمسك ثلاثة منها فماذا تفعل؟ هل تصر على إمساك الجميع والا لا تفعل؟ أم أنك ستحاول إمساك ما استطعت ولو واحدة؟ فكذا إذا استطعت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ولو في مجتمع يغلب عليه المنكر فافعل ولا تكن سلبياً، فإن المسلم يحمل دائماً شعار «دفع الفساد ما أمكن». ثم إن شجرة الإسلام وإن أصابها ما أصابها فإنها لم تفسد بالكلية «ومن قال: هلك الناس فهو أهلكهم».

ولم يتميز حزب التحرير على الآخرين بأمر بمعروف ولا نهى عن منكر. وعلى العكس من ذلك فعلاقاته بالبريولوية في بريطانيا وبالشيعة يرد ذلك.

ومن الطبيعي لمن يعيش تحت سلطان الحكام وهو ضعيف ثم يقول لهم أنا أطالب بعروشكم وأحاربكم أن ينشغل بضرباتهم عن الدعوة. وإنما يستطيع العمل من كان أصل عمله دعوة الخلق إلى الإصلاح ما استطاع سواء قامت الخلافة أم لم تقم. وإلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك الذي وقع فيه كثيرون في الأمة ولا منكر بين الحركات التي ليس في برنامجها إلا العمل السياسي المجرد.

فحزب التحرير كان ولا يزال ممنوعاً من العمل السياسي والاجتماعي العلني في المجتمعات العربية، وهذا ما حدا به إلى الاختراب وكتابة المنشورات في المجتمعات الغربية غير المسلمة والتي كانت دائماً - ولا تزال - محل نقد شديد من قبل الحزب ذاته» ١.

١ - حزب التحرير وجماعة التبليغ ص ١٤ (مؤتمر الفكر الإسلامي والمستقبل).

البلاد الإسلامية كلها عند الحزب دار كفر!

ويرى الحزب البلاد الإسلامية التي لا تحكمها أنظمة إسلامية بأنها دار حرب لا دار اسلام. قالوا «بلاد المسلمين تعتبر كلها دار كفر ولو كان أهلها مسلمين، والمسلمون اليوم يعيشون في دار كفر»^١. وبالطبع مكة والمدينة غير مستثناء من حكم الكفر.

لأن البلاد لا تعتبر إسلامية عندهم إلا إذا حكمتها دول وأنظمة إسلامية^٢. قالوا «القرآنيين والأنظمة التي تطبق على المسلمين في جميع بلاد الاسلام إنما هي أنظمة كفر وقوانين كفر: وهذا ما يجعل المجتمعات في البلاد الإسلامية «جميعها» مجتمعات غير إسلامية... وبلاد الاسلام التي يعيشون فيها ليست دار اسلام»^٣.

وهذا القول يعتبر منطلقاً لمزيد من التهور، وانطلاقة للسير على خطى الخوارج. والبدعة تكون في أول الأمر ذراعاً ثم تصير باعاً.

قال الدكتور همام سعيد: «ان القول بتقسيم العالم الى دار اسلام ودار حرب - وأنه لا يوجد الآن دار اسلام - قول بعيد عن الحقيقة، فإن هذه التقسيمات كانت في ظل الدولة الإسلامية ذات الجيوش الموجهة لفتح الأصقاع ونشر العقيدة، وفي صفة الاسلام عن المجتمع تجن كبير وتجاهل لجواب من الخير لا تزال موجودة، وهو في الوقت نفسه باعث على الاحباط ويفسح المجال لأعداء الاسلام لاستغلال طاقات المجتمع الذي تخلينا عنه عندما نصفه بمثل هذه الصفة الخطيرة»^٤.

١ - حزب التحرير ١٠٣ و١٠٢.

٢ - الدولة الإسلامية ص ٥٥ ميثاق الأمة ١٤.

٣ - منهج حزب التحرير في التغيير ١٠ و١١ و٣٤ ميثاق الأمة ٤٤.

٤ - حزب التحرير دراسة ونقد (ضمن ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر ٦٢٢ للدكتور همام سعيد ط مكتب التربية العربي لدول الخليج).

حتى مكة والمدينة دار كفر عندهم!

وسألت أحد أعضائهم: ماذا تعتبر مكة والمدينة؟ هل هما دار إيمان أم دار كفر وحرب! فقال: هما دار حرب وكفر. قلت: أفيجوز أن يقول الحاج: أنا ذاهب لأحج في ديار الكفر؟ وأين دار الإيمان إن كانت مكة والمدينة دارَي كفر!

وهذا المنهج خطير جدا فإنه لو أمكن للحزب أن يقيم حرباً على الحكام فكيف سيكون موقفه من عامة المسلمين ممن يعتبرهم الحزب سكان ديار الكفر أو بالتعبير الحالي: «مجتمع الكفر». فيخشى أن ينهج فيهم نهج الخوارج حين اعتبروا كل دور المسلمين دار كفر فعاملوهم معاملة المرتدين. وهكذا يخشى من بعض الجماعات لا سيما التحريريين أن يعيدوا هذا الانحراف القديم بسبب غلبة الحماس وقلة العلم.

وسألهم سائل «هل يوجد دار اسلام في العالم كله اليوم؟ قالوا: لا. قال: أنا أريد الهجرة فألى أين أهاجر؟ فعجزوا عن إجابته.

1. The first part of the paper is devoted to a general discussion of the problem of the existence of solutions of the system of equations

$$\frac{dx}{dt} = f(x, y, z), \quad \frac{dy}{dt} = g(x, y, z), \quad \frac{dz}{dt} = h(x, y, z),$$

where f, g, h are continuous functions of x, y, z and satisfy certain conditions. It is shown that under these conditions the system has a unique solution for any initial conditions.

2.

The second part of the paper is devoted to a study of the stability of the solutions of the system of equations. It is shown that if the functions f, g, h satisfy certain conditions, then the solutions of the system are stable with respect to the initial conditions. The stability is proved by the method of Lyapunov.

The third part of the paper is devoted to a study of the asymptotic behavior of the solutions of the system of equations. It is shown that if the functions f, g, h satisfy certain conditions, then the solutions of the system tend to a certain limit as $t \rightarrow \infty$.

((من ثمرات إبعاد الأخلاق))

فتاوى فقهية باطنية

وتفرد الحزب بفتاوى استغربها كثير من الناس، وهذه الفتاوى من الخطورة لدرجة أنها تؤثر تأثيراً مباشراً على أخلاق المستجيبين لها، ومن هذه الفتاوى:

• جواز تقبيل المرأة الأجنبية ومصافحتها. فقد أرسل أحد الناس سؤالاً للحزب: ما حكم القبلة بشهوة؟ فكان جواب الحزب « من مجموع الأجوبة المذكورة أن القبلة بغير شهوة مباحة وليس حراماً... »^١.

• وفي نشرة أجوبة وأسئلة بتاريخ ١٩٧٠/٤/٢٦ قالوا « فلا يقال ما هو دليل إباحة تقبيل المرأة وما هو دليل مصافحة المرأة ولا ما هو دليل التكلم مع المرأة؟ وما هو دليل إباحة سماع صوت المرأة وغير ذلك مما يدخل تحت عموميات الأدلة. بل الذي يقال: ما هو دليل تحريم تقبيل المرأة للرجل؟ فيقال دخول هذا التقبيل تحت دليل تحريم الزنا يجعله حراماً، فإذا لم يدخل يظل مباحاً حتى يثبت تحريمه بدليل ما ».

وبالطبع لن يرضى هذا المفتي فتواه هذه لأمه أو أخته؟
فأما القول بتقبيل المرأة ومصافحتها فليس انهياراً في الأخلاق،
وأما القول بوجوب تغطية وجهها فهو عند التبهاتي انهيار في الأخلاق!!^٢

^١ - نشرة جواب سؤالات ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠/٥/٢٩ ونشرة جواب وسؤال ٨ محرم ١٣٩٠ الموافق ١٩٧٠/٣/١٦.

^٢ - النظام الاجتماعي في الإسلام ١٠ و ١٢٨.

جواز مصافحة المرأة

وقالوا عن جواز مصافحة المرأة الأجنبية « وتكون البيعة [للخليفة] مصافحة باليد لا فرق بين الرجال والنساء »^١. واحتجوا برواية أم عطية على المصافحة، مع أنه ليس فيها نص صريح على المصافحة. ولا يجوز الاعراض عن صريح قول عائشة « لا والله ما مست يد النبي يد امرأة قط » حيث روت قول النبي ﷺ عند المبايعة « قد بايعتك كلاماً »^٢.

وأما ما جاء في المراسيل عن الشعبي أنه ﷺ أتى بنبرد قطري فوضعه على يده، فهذا مرسل والمراسيل لا تقوم بها حجة كما بينه النووي^٣. وليس من الانصاف الاعتماد عليها مع تجاهل صريح قول عائشة عند البخاري. وعلى فرض صحتها فقد ذهب أهل العلم إلى أن قول عائشة فيه رد على ما روي عن أم عطية. قال الحافظ « وكان عائشة أشارت بذلك إلى الرد على ما جاء عن أم عطية » (الفتح ٦٣٦/٨).

^١ - الخلافة ص ٣٢.

^٢ - البخاري رقم (٤٨٩١).

^٣ - شرح النووي على مسلم (٢٠/١).

وليحكم حزب التحرير بما أنزل الله

فلا يكفيهم أن يقول رسول الله ﷺ « أتى لا أصافح النساء، إنما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة » كما في حديث أميمة حين جاء النساء يبأيغنه^١ ولا أن يقول النبي ﷺ « لأن يطعن في رأس رجل بمخيط خير من أن يمس امرأة لا تحل له^٢ ».

فاتهم بالرغم من هذه الأدلة: أصرروا على خطئهم ولم يحكموا بما أنزل الله، فكيف يمكن الله لهم في الأرض وهم يقتصرون على الحكم بما قرر النبّهات.

فهذا يصلح أن يكون دليلاً على أن هذه الحركات لم تكن أوتاهها لتحمل رسالة الاسلام بعد: لأنها لم تستسلم لهذا المنهج تماماً بعد، ولقد كادت تلحق بالصحابة هزيمة نكراء لعصيانهم أمر النبي بالثبات على الجبل وعدم مغادرته فكيف الحال بمن ينسبون إلى النبي ما ثبت أنه قال وفعل عكسه؟ هل ينصرهم الله على عدوهم.

ولقد تناقض عمر بكري (مقتي الحزب) فزعم أولاً أن الرسول ﷺ لم يكن يصافح النساء لكنه أنن لعمر أن يصافحهن، فصافح عمر النساء في بيعة النساء^٣. وكان بكري زعم من قبل أن عائشة أخطأت حين قالت أن النبي لم يكن يصافح النساء.

• إباحة رؤية الصور العارية لأنها ليست جسماً على الحقيقة. وبالطبع هذا شيء لا يرضونه لأخواتهم أو بناتهم!

^١ - رواه ابن حبان (١٤) الترمذي (١٥٩٧) النسائي (١٤٩/٧) ابن ماجه (٢٨٧٤).

^٢ - رواه البيهقي والطبراني بإسناد صحيح. (سلسلة الصحيحة ٢٢٦).

^٣ - تفسير النور ٢٠، ١٥٠، الجزء السادس (قنبر).

• والرد عليهم من كلام الرسول ﷺ « كتب على ابن آدم حفظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، والقم يزني وزناه القبل » قال النووي « ومتى حرم النظر حرم اللمس ». وفي قول النووي رد علي تجويز النبهاتي المصافحة. حيث زعم أن لمس النساء ليس حراماً^١.

• وقد رأى النبهاتي أن معنى قول النبي ﷺ «إصرف بصرك» يعني النهي عن النظر إلى غير الوجه والكفين. ومعنى قوله ﷺ «لا تتبع النظرة النظرة» أي تكرار النظر الذي يسبب الشهوة وليس النهي عن مجرد النظر.

قال «ومعنى (غض البصر) أي أن النساء قد يكن كاشفات لما يزيد عن الوجه والكفين فعليكم غض البصر وليس عدم النظر»^٢.

• جواز لبس الباروكة والبنطلون والخروج لحضور مهرجان انتخابي أو مؤتمر عام ولو منعها زوجها فلم تطعه لم تكن ناشزة^٣.

• سقوط الصلاة عن رجل الفضاء المسلم وعن سكان القطبين من المسلمين.

١ - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ١٩٥/٦.

٢ - النظام الاجتماعي في الإسلام ٥٨.

٣ - النظام الاجتماعي في الإسلام ٤٤-٤٥ و ٥٤.

٤ - نشرة جواب وسؤال ٢ محرم ١٣٩٢ هـ ١٧/٢/١٩٧٢.

في البيت أم في البرلمان ؟

• ويجوز للمرأة أن تكون عضواً في البرلمان^١. ويجوز أن تتولى القضاء^٢ مع أن الله أمرهم أن يقرروا في بيوتهم (وقرن في بيوتكن)^٣ وقال الرسول «قد أنن الله لئن أن تخرجن لحوائجكن»^٤ ولم يقل لتولي شؤون البلاد والنيابة عن الشعب في البرلمان، وقال «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»^٥ ودخلها البرلمان داخل في تولي أمور المسلمين.

ولقد أبدى الدكتور عبد الله النفيسي تعجبه من التناقض في مواقف الحزب حيث يتوسع في منح المرأة «حقوقها» بينما نجده ينص في بعض مواده على (رقم ٣٤-٣٥) على أن الأصل في المرأة أنها أم وربة بيت وعرض يجب أن يوصان وأن الأصل أن ينفصل الرجال عن النساء. قال: كيف نوفق بين هذا وذاك؟

١ - مقدمة الدستور ص ١١٤ ميثاق الأمة ٧٢.

٢ - النظام الاجتماعي في الاسلام ٨٩

٣ - رواء البخاري الفتح ٣٣٧/٩.

٤ - رواء البخاري (٤٤٢٥) و (٧٠٩٩) بلفظ «لن يفلح قوم».

هل يقتل المسلم بالكافر

وزعم حزب التحرير أن المسلم يقتل بالكافر، راداً بذلك صريح حديث النبي « لا يقتل مسلم بكافر » الثابت بسند صحيح عند البخاري وغيره ١ محتجاً بما عند الطبراني أن علياً أتى برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فقامت عليه البينة فأمر بقتله» وقول النبي « نحن أحق من أوفى بدمته» ٢.

وهذا الإسناد وغيره من الأسانيد ضعيفة، ضعفه الزيلعي في نصب الراية (٣٣٧/٤). وأصح منها ما أخرجه أحمد وحسنه الترمذي وصححه ابن خزيمة عن النبي أن عقل الكتابيين نصف عقل المسلم» وما رواه أبو داود أيضاً بإسناد حسن أن دية أهل الكتاب على عهد النبي نصف دية المسلمين.

١ - رواه البخاري حديث رقم (٦٩١٥) كتاب الديات: باب لا يقتل المسلم بالكافر. والترمذي رقم (١٤١٢).

٢ - رواه البيهقي وهو ضعيف فيه البيهقاني (الشخصية الإسلامية ص ٨٣).

لا يجوز للرسول أن يجتهد

وزعم الحزب أنه لا يجوز في حق الرسول أن يكون مجتهداً^١. قال عمر بكري « نحن نتبنى أن النبي لا يجتهد » وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى^٢ قال « وثبت أن النبي كان ينتظر في أي مسألة حتى يأتيه الوحي فلا يجيب من رأسه أبداً^٣ .

وكثيراً ما سمعنا عمر بكري يقول لخصمه عند كل مناقشة:

هل أنت مقلد أم مجتهد؟ إما أن تكون مقلداً وإما أنك مجتهد: إثنان لا ثالث لهما.

ونحن نقرب عليه الأمر ونتوجه إليه بنفس سؤاله فنسأله:

إذا كان الأمران لا ثالث لهما فهل رسول الله مجتهد؟ إن قلت ليس مجتهداً لزمك القول بأنه مقلد لأنه لا ثالث للأمرين عندك!!

وماذا عنك أنت أيها المفتي؟ أأنت مجتهد أم مقلد؟ وإذا كنت تعترف دائماً بأنك مقلد فكيف تجتمع فيك صفة مفتي ومقلد في وقت واحد وقد قال السيوطي « لا يقلد الا جاهل »؟

فرسول الله لا يجوز أن يكون مجتهداً وأما زعيم حزب التحرير (النهجاني) فيصفونه بالمجتهد المطلق. وهو وصف كمال ينفونه عن نبينا ويثبتونه لزعيمهم. فيقال لهم: أيهما أكمل: من أوتي درجة الاجتهاد أم من حرّمها؟ وهل المحروم من الاجتهاد عالم أم جاهل؟

١ - الفكر الاسلامي ٧٦.

٢ - شريط الصيام ٣٥٥,٠٠.

٣ - شريط فيديو: الخلافة: الحكومة الإسلامية

تطبيق أمر الحاكم مقدم على تطبيق الشريعة!

ومن عقائدهم: «وجوب طاعة الخليفة فيما تنباه من الأحكام ولو خالف النص في وجهة نظر المأمور» وأن العمل جرى على ذلك في عصر الخلافة الراشدة والمسلمين الأولين^١.

وهذا يناقض قول النبي ﷺ «اتما الطاعة في المعروف» وقوله «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ويناقض ما قاله أول الخلفاء أبو بكر «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم» فهؤلاء يدعون إلى الخلافة ويخالفون أول ما قاله الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه.

فانظر كيف قصر التحريريون الأمر على مخالفة مخالفة النص في وجهة نظر المأمور ولم يفترضوا أن تكون المخالفة هناك مخالفة حقيقية للنص وللشرع: وكأن الأمير عندهم معصوما ولا يمكن أن يكون مخطئا وإنما يكون الخطأ سوء فهم من المأمور! إن هذا هو التحكم بعينه في المأمور على طريقة الصوفية «لا تعترض فتتطرد»!!!

^١ - الدولة الإسلامية ١٠٨.

سب العلماء خطة لضرب المرجعية العلمية

للعلماء مرتبة شريفة قررهما النبي ﷺ حين قال « العلماء ورثة الأنبياء » فمن كان وريث النبي ﷺ فهو أعلى شأنًا من ملوك الدنيا وأصحاب المناصب والجاه والمال.

وتفتقر الحركات الإسلامية قادة وأفراداً إلى تعلم أدب التعامل مع ورثة الأنبياء أعني المشتهرين منهم بنشر السنة والتوحيد ليس البدعة والشرك. فقد يخطئ العالم في فتواه أو قد يتعرض لضغوط فيضعف فيطالبه الناس بالحزم والقوة ويجهلون ما يتعرض له مما لو تعرضوا له لكانوا أضعف منه.

وربما يضطر للترخص كما فعل العلماء في محنة الامام أحمد، ومع ترخصهم لم يتبرأ منهم أحد ولم يطعن فيهم بين العوام كما يفعل اليوم من تغلب عواطفهم عقولهم، فتعلموا الجهاد ولم يتعلموا مجاهدة النفس والأدب وتعظيم ورثة النبي ولم ينزلوا الناس منازلهم، وإنما التمسوا لهم العذر، وكان جل ما قالوه أنهم أخذوا بالرخصة ولو أخذوا بالعزيمة لكان أفضل لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

بخلاف المتعجلين الذين يريدون من كل عالم أن يقف موقف سيد الشهداء فيقف أمام الحاكم الجائر فيأمره وينهاه. والآن عندهم من عملاء سوء ووصفوهم بعملاء الحيض والتفاس وعلماء السلطة.

وجهل هؤلاء أن العلماء يتفاوتون في العلم والجهل والقوة والضعف، ولم يكن الثابتون على موقف أحمد الا قلة قليلة، ولو أننا اشتربنا من كل عالم أن يكون مثل أحمد والا تبرأنا منه: لما بقي لنا عالم واحد.

وربما رأى العالم أنه لو اتخذ موقفاً حاسماً لأدى ذلك إلى مفسدة أكبر، وقد يكون العالم مخطئاً في ترجيح المصلحة على المفسدة أو ترجيح أقل المفسدتين مع كونه في غير هذه المسألة على السنة داعية إليها ناهياً عن البدعة، فموقفنا منهم أن ننزلهم منزلتهم التي أنزلها النبي ﷺ أعني إرث النبوة.

فلا نتبرأ منهم لمجرد خطأ صدر منهم، فنعتظمهم لما هم عليه من نشر السنة وتعليم العلم ولا ننال من أعراضهم ونتبرأ منهم ونحتفظ بأخطائهم لتعرضها على الناس في المجالس والدواوين كما يفعل المتعجلون المتهورون حيث يحتفظون بملفات لأخطاء كل شيخ.

وإذا كان النبي ﷺ يكتم أسماء المنافقين فلم يكن يعرفها من بين الصحابة إلا حذيفة فكتمان أخطاء وزلات العظماء المعترين الذين يحملون راية المنهج الصحيح أولى بالكتمان من أسماء المنافقين.

وإذا وجدت ضرورة لتبيين خطئه فيجب التعامل مع هذا الخطأ كما يتعامل الولد مع والده وتحفظ له مكانته ومنزلته بالرغم من تبين الخطأ.

وهؤلاء لو أخطأ أب أحدهم لا يجاهر في تجريحه أو يطعن فيه أمام الناس لأنه أبوه والأب يجب احترامه. لكنه لا يبالي أن يجاهر بالطعن بورثة الأنبياء والتعامل عليهم والتحذير منهم.

أخطاء العلماء أقل فداحة من غيرهم

ونحن لسنا مع تقديس العلماء ولا مع من يتبرأون منهم لزلّة أو اجتهد لم يتفق معهم مخالفهم عليه. ولكن لا ريب أن خطأ العلماء المعترين أقل سوءاً من أخطاء المتطهرين ممن لا علم لهم وإذا سادوا العامة هلكوا وأهلكوا، وقد كان من وصية عمر رضي الله عنه « تعلموا قبل أن تسئلوا ».

فخطأ المتطهرين المتعجلين أسوأ أثراً وأفذح من خطأ العلماء فإن عند العالم سنة يحفظها وقرأنا يستظهره يزن بهما موافقه وفتاويه.

وأقل ما في الأمر أنه يؤخرهم عن القيام ضد الحاكم مثلاً لقرائن وأدلة شرعية ومصلحة يرجحها:

بختلاف هؤلاء فانهم يسقطون عند كل فتنة تقابلهم ويتخبطون بجهلهم، فلا عالم يرجعون اليه وإنما يرجعون الى أرباع علماء ورؤساء جهال يفتنون بغير علم فتؤدي فتاويهم الى طحن الدعوة والدعاة وتقديهم ناعجاً وقرابين على مذابح الطواغيت - وبذلك يزيد عدو المسلمين قوة وتمكنا ويتفرد بالتأثير على العامة دون منافس. هذا ما يشهد به الواقع المرير.

إن هؤلاء المتعجلين يعلمون ما بين طريقتهم وبين طريقة أهل العلم من الاختلاف في المنهج وأن العامة إنما يسمعون عادة من العلماء لا من الجهال، فمن أجل قطع الطريق بينهم وبين العلماء واستجلابهم الى حزبهم فانهم يضطرون الى الطعن في العلماء وتجريحهم والتحامل عليهم أمام العامة، فيسمونهم « علماء السلطة » « العلماء العملاء » تنقيراً للناس منهم. حتى يختلوا بالعامة وبالتالي يوقعونهم في باطلهم دون أن يعترضهم العلماء. ولقد قال نبينا ﷺ « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا ».

نتيجة صرف الشباب عن العلماء

وما نتيجة وضع الحواجز بين الشباب وبين علمائهم إلا الاحباط الشديد والتراجع الذي يعاني منه الشباب، فلم يزد هم هذا الحماس والتعجل الا ضعفا وتراجعا، وأصابهم الاحباط: بعد أن كان الأمل بالحل الاسلامي يملأ قلوبهم، وهذه مرحلة يريد بها الكفار ليقولوا لنا بعد ذلك: ألم نخبركم بأن الاسلام ليس هو الحل وأنه لا بديل لكم وللعالم عن العنفة!!!

والمؤلم هنا أن العلماء المطعون فيهم ليسوا بأسوأ من علماء المذاهب المبتدعة كالرافضة بل هم أفضل حالا وأهدى سبيلا وأقوم طريقة من علماء السوء الذين يسبح حزب التحرير بحمدهم كالخميني ومشايخ الشيعة الذي يدأب الحزب على اللقاء بهم وتدریس مذهبهم - كما يفعل عمر بكري فستق في بريطانيا - والتقليل من شأن خطورتهم ويأمل أن تقوم بهم خلافة رافضية تحريرية.

حماس وراء الشيعة

أن إغراء الروافض لحركات التهور والتعجل والعاطفة و«الحماس» لا لوجه الله ولا لرفع راية الجهاد^١ وإنما دفعاً لهم نحو حتفهم، هو كمين ينصبه الباطنيون لإنهاء قوى شباب الصحوّة وهدر طاقاتهم وتضليلهم عن المسار الدعوي الصحيح وتلميع مذهب الرفض في عيون العامة، كخطوة على استعادة تحرير بلاد السنة واعادتها الى الحضيرة الباطنية والدولة الفاطمية التي حكمت العالم الاسلامي الى أن تم القضاء عليها على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

فهذا مكر شديد يجهله الكثيرون ولكن ربما تجاهله أرباب فقه المصلحة ممن يظنون أن مسايرة أهل البدع سياسة، وهي سياسة لم

^١ - الروافض يرون أفضل الجهاد جهاد النواصب.

ينتهجها السلف الصالح. بل كان موقفهم منهم دائماً صريحاً حرصاً على العامة من الانخداع بهم وحتى لا يقال: إذا كان الاسلاميون يثنون على مذهب الروافض وينادون بالتوحيد معهم فالروافض على حق وليس ثمة فرق بيننا وبينهم الا شدة محبتهم لأهل البيت! فالاضطرابات السياسية ليست شيئاً جديداً وقد كانت في عهد أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ولم يتحالف منهم أحد مع حامل لواء بدعة من أجل تحقيق مصلحة سياسية مزعومة!

هؤلاء لا عدل عندهم فكيف يكونوا مؤهلين لقيادة الناس الى نشر دين العدل وهم يفتقرون الى العدل؟

أي الخطأين أشد: علماء أهل السنة أم الروافض الذين تلتقون بهم وتتناسون عداؤهم لصحابة النبي واتهامهم بالردة والخيانة؟

أين تراجع الحزب العلمية!

على أنه من الملاحظ افتقار الحزب للمرجعية العلمية والى علماء يرجع اليهم في مسأله، وليس عنده الا رجل واحد طرق باب الافتاء في بريطانيا مؤخراً، وهو عمر بكري كان ظهوره وبالا على الحزب وسقوطاً آخر، لقد كان الدور الذي لعبه ضد الحزب وليس لصالحه، فقد ظهر تخطئه في فتاويه ومنهجه.

وسأتي الكلام عنه بالتفصيل وكيف ادعى تلقي العلم عن المشايخ والتخرج من جامعة أم القرى بمكة والجامعة الاسلامية بالمدينة.

الكذب لا يقيم دولة الخلافة

من هو عمر بكري؟

ولقد ارتكب الحزب خطأ باستخدام رجل اسمه عمر بكري فستق (سوري الأصل من مدينة حلب لبناني حالياً) للترويج للحزب تحت شعار مفتي حزب التحرير بالرغم من جهله الظاهر باللغة العربية عامة وبالقرآن الكريم خاصة: قراءة وفهما وتطبيقاً، وجرائه علي الفتوى.

وهو متعالم وصاحب دعاوى، ودليل ذلك ما زعمه في كتابه *Essential Fiqh* (أصول الفقه) أنه تخرج من جامعات عديدة أهمها جامعة أم القرى في مكة والجامعة الإسلامية في المدينة وجامعة الأزهر في مصر وكلية الشريعة في دمشق.

وقد استخف جماعة من العجم في بريطانيا. وهو يعلم ما لكلمة مكة والمدينة عند العجم من تعظيم ولذلك زعم أنه قضى حياته العلمية ينتقل بينهما.

على أن سيرته غير معروفة، فإنه خلال مكوثه في المملكة لم يطلب العلم في شيء من جامعاتها ولكنه كان موظفاً في شركة كهرباء الشرق لصاحبها شمسان وعبد العزيز الصهبي في الرياض. ثم انتقل إلى فرع الشركة بجدة. ولم يقترب خلال فترة مكوثه هناك من أي جامعة ثم طار إلى أمريكا لأشهر يتعلم الإنجليزية، ثم هبط فجأة إلى لندن وتقلد منصب مفتي الحزب.

ونحن نذكر تاريخه بكل ثقة ونطالبه بإبراز شهاداته من جامعتي أم القرى بمكة والجامعة الإسلامية بالمدينة أن كان صادقاً.

About the Author

Omar bin Bakri bin Mohammad al-Halabi (widely known as Omar Bakri Mohammad) is from Aleppo, Syria. He was born in 1958 and was brought up amongst an orthodox Muslim family known as al-Foslok. Omar started to study Islam from his childhood at al-Kuttab (private Islamic school), where he studied the Qur'an, ahadith, *fiqh* and so on. Omar adopted the Shafi'i *madhab* (School of Thought).

Omar accompanied and studied with many qualified scholars like Sheikh 'Abdullah al-Zamilkani (died 1989) from Zamilka, Damascus, Sheikh al-Khani and Sheikh A'wadh al-Dimashqui. He studied in many famous and well noted Islamic institutions including the Shari'ah University in Damascus, al-Azhar University, Umm al-Qura' in Makkah and al-Jamia al-Islamia in Madinah al-Munawarah.

He joined many Islamic movements like Muslim Students, al-Ikhwan (al-Talifah), Ebad ul-Rahman and Hizb ul-Tahrir.

He is the author of many Islamic books including:

- ♦ *Usul al-Fiqh* (Foundation of Islamic Jurisprudence according to the four Schools of Thought)
- ♦ *Al-Jihad* (between Mind and Text)
- ♦ *Ahkam of Salah* (Rules of Prayer)
- ♦ *The Book of Khabar al-Ahad* (*Umm al-Hadith*)

مؤلف: عمر بن بكر بن محمد الحلابي
موضوع: فقه إسلامي
موضوع: فقه إسلامي

Omar Bakri Mohammad

The Islamic Book Company
PO Box 6822
London E15 2UT (UK)

وهو يقرب الناس من التشيع لا سيما في مدرسته التي يقيم الدروس
الفقهية فيها على المذهب الجعفري، وهذا كاف في زعزعة الثقة فيه،
ويزعم أن الجعفرية من جملة طوائف أهل السنة والجماعة، وأن رسول
الله ﷺ كان ينادي عند الأذان (حي على خير العمل) وهو في نفس
الوقت كثير الطعن في الدعوة السنية ذات النهج السلفي وينعتهم
بالوهابيين.

ويتحامل على من لم يقولوا بتحريف القرآن ولا سبوا الصحابة ولا
اتخذوا أهل بيته أربابا ولا قالوا بالمتعة ولا بالتقية ولا ينتظرون مهديا
آخر ولا طعنوا في كتب الحديث وكذبوها كالبخاري ومسلم: فهل من
يسميهم وهابية أكفر وأخطر عنده من أولئك؟ هل هم عنده شر من
الروافض؟

إن سرور الحزب بما يفعله عمر بكري من تضليل للبسطاء لعامل
جهلهم باللغة هو سقوط وأفلاس في الحقيقة حتى قال البعض: زهد أبناء
العرب في الحزب فراح يجرب خطه لغة يجد زبائن له بين من لا
يفهمون لغة العرب.

وليحكم حزب التحرير بما أنزل الله

وقد طعن حزب التحرير بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتهم الوهابية بالعمالة للانجليز والاحرام وبالمسؤولية عن سقوط الامبراطورية العثمانية. وزعم عبد القديم زلوم « أن اتجلبترا أمدتهم بالسلاح والمال واندفعوا على أساس مذهبي يريدون الاستيلاء على كربلاء وعلى قبر الحسن وأنه لما سقطت المدينة بأيديهم خربوا القباب الضخمة التي تظلل رسول الله ﷺ ... وكان معروفاً أن هذه الحملة الوهابية عمل انجليزي ».

قلت: هل هذا معروف عنده بخبر آحاد أو متواتر أم أن الراوي نصراني مغرض؟ اعتمدوا أكذوبته وتناسوا شروط الرواية أن تكون عن ثقة فأخذوها عن نصراني اعترف بأنه كان جاسوساً! وهل صار الجاسوس عندكم ثقة عدلاً ومعتمد الرواية؟ قد أمركم الله إذا جاءكم فاسق بنبأ أن تتبينوا فأخذتم بخبر آحاد النصاري في حق أخ مسلم من غير تبين!

فهذا الحزب الذي اشتهر بمطالبة الحكام بتحكيم شرع الله مطالب هو بدوره أن يحكم شرع الله فيحكم بين الناس بالعدل وليذكر كيف كانت الخلافة في عهد علي رضي الله عنه قبل أن تشوش عليها عوامل الشائعات التي لفقها أناس وتأثر بها ضعاف النفوس.

جهله بالقرآن تلاوة وفهما

واليكم مثالا على جهل بكري بالشريعة التي يطالب هو الحكام بتطبيقها وهو لا يعرف شيئا عنها، وسنورد جملة من الآيات التي قرأها وهي مسجلة بصوته.

وأنبه الى أنني لست ألتقط له أخطاء عفوية يمكن حتى للماهر بقراءة القرآن أن يقع فيها وإنما أذكر نماذج لأخطاء كثيرة فاحشة تتكرر ربما في الآية الواحدة وتكثر جدا في المحاضرة الواحدة، وهذا ما جعلني أحكم عليه بأنه جاهل حتى بتلاوة كتاب الله، فإنه لا يمكن لمن تخرج من أربع جامعات (كلية الشريعة والأزهر وجامعة أم القرى بمكة والجامعة الإسلامية بالمدينة) أن تكثر عنده هذه الأخطاء.

- ثم على العرش استوى. (شريط عذاب القبر).
- أن يتبعون إلا الظن والهوى. (شريط عذاب القبر).
- فذرهم حتى لا يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون (شريط عذاب القبر).
- فلا تخشوا الناس واخشوني (قرأها بضم الشين في الكلمتين).
- ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله (قرأها بضم ائراء) (فيديو تفسير المائدة الجزء الثاني ١١، ١١).
- طلقتم النساء (قرأها بكسر الميم) (تفسير المائدة الجزء الثاني ٢٣، ٢٠).
- ولكم في رسول الله أسوة حسنة (يكرر نفس هذا الخطأ كثيرا) (فيديو تفسير المائدة الجزء الثاني ٣٨، ١٥).
- وإنما امككم أمة واحدة (تفسير المائدة ١١٤، ٥٥/٢ الصيام ٢٤٥، ٠٠).
- وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم (قرأها بكسر الباء) (فيديو تفسير المائدة الجزء الثاني ٢٣٩، ٣٠).
- ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن (قرأها منصوبة بدل الجر) (فيديو تفسير النور الجزء الثاني ١٠٩، ٠٨).
- أو التابعين غير أولي الإربة (بفتح الراء) (تفسير النور ١٢٧، ٢٠/٢).
- يا أيها الذين آمنوا ليسأتلكنكم (بشد النون) الذين ملكت أيماكم والذين لم ييلغوا (بفتح اللام) الحلم منكم (فيديو تفسير النور ١٣١/٢).

- من المؤمنين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه (أبو حنيفة «١،٤٣).
- ولا تفرقوا كما تفرق الذين من قبلكم (فيديو الهدف الاسلامي «٠،٤٥).
- إن هي إلا حياتنا (يفتح الثاء) الدنيا (فيديو الهدف الاسلامي «٢٤،١٢).
- فإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم (يكسر الياء) (فيديو الهدف الاسلامي «٤٥،٢٥).
- قل فاتوا بسورا (ينصب الراء) من مثله (شريط الفقه «٢٠،٠٣).
- وشاورهم بالأمر وإذا عزمت (شريط الفقه «٢٠٢،٤٥).
- وفي أنفسكم أفلا تنظرون (فيديو جهاد محمد «٤٦،٤٢).
- إن ينصركم (يضم الراء) الله فلا غالب لكم (جهاد محمد «١٣٥،١٥).
- فيما ترين (يفتح الياء) من البشر أحد فقولي (شريط الصيام «٢٠٠،٠٠).
- قل أتعبدون ما تحتون (شريط الصيام «٢٣٠،٠٠).
- أو لامستم (يفتح الميم) النساء (يكسر الميم) (شريط الصيام «٤٤٤،٠٠).
- والزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة (يفتح الميم وزيادة ألف) جلدة (شريط الصيام «٣٩٢،٠٠).
- ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء (يفتح الهمزة) (فيديو تفسير المائدة «٧،١٠/٢).
- ذوي عدل منكم (قرأها بكسر الواو) (فيديو تفسير المائدة «٩،٣٠/٢).
- ولا تبرجن تبرج (يكسر الجيم) الجاهلية الأولى (تفسير النور «٢١،٣٠/٦).
- بل هم كالانعام (شريط جهاد محمد «٤٧،٤٠).

كيف يفهم بكري القرآن والسنة

وله تفاسير عجيبة للقرآن:

• زعم أنه يفهم من قوله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ أنه لا بد أن يكون الكفار من أهل الكتاب أعضاء في مجلس الأمة. لأن أهل الذكر هم أهل الكتاب وزعم أن الذين نفوا ذلك أخطأوا. قال « يحق للذمي أن يكون عضوا في مجلس الأمة لأن النبي كان يستشير الكفار ». وكأنه لا يعرف آية في القرآن يقول الله فيها ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ﴾ [آل عمران ١١٨].

وهكذا فهم هذا العالم التحرير من كلام ربنا أن يدخل اليهود والنصارى في البرلمان!!

لست أدري لو قدر الله - لا سمح الله - أن يتسلم أمثال هذا قيادة المسلمين ماذا كان سيحل بالأمة.

• زعم أنه يحق للمرأة أن تكون عضوا في البرلمان مستدلا بحادثة فتح الحديبية حينما دخل النبي ﷺ على أم سلمة مغضبا لأن الصحابة كرهوا أن يعودوا من غير أن يدخلوا مكة، فأشارت عليه أن يخرج ويفعل ما يريد ليفعلوا مثله ففعل. قال بكري « مما يدل على أنه يجوز للمرأة أن تكون عضوا في البرلمان ». زعم أن الفقهاء فهموا ذلك. غير أنه لم يفقه من دخول النبي ﷺ إلى داخل خيمة أم سلمة شيئا فلماذا لم يخرج بها إلى حيث مجلس الشورى من الرجال.

• زعم أن آية ﴿ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ يظن الناس أن المقصود منها دعوة المسلمين. هذا عجيب يقول

بعضهم (دعوة للمسلمين)، هذا غير صحيح، الدعوة تكون للكفار فقط. كيف تدعو المسلمين!!!^١

فهؤلاء لا يرون في المسلمين عيباً ومنكراً يجب النهي عنه، وعلى قولهم لم يكن لعلي رضي الله عنه أن يقاتل الخوارج وينهاهم عن منكرهم وأما كان عليه أن يكتفي بدعوة الكفار فقط!!

ولكن لماذا تتعرض هذه الأمة للمثلة وتسلط العدو؟ أليس لذلك سبب أفيجوز الاعتقاد أن الله يعذب من يشكره ويؤمن به وهو الذي قال ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾.

كيف يتعامل بكري مع السنة؟

زعم أن رسول الله ﷺ سأل الجارية « أين الله » فقالت « في السماء » فلما قام الصحابة حينئذ ليضربوها قال دعوها إنها مؤمنة^١ وهذا كذب على النبي ﷺ. كيف زعم أن الصحابة قاموا ليضربوا امرأة وافقت قول الله «أأمنتم من في السماء».

وقد طوّل كثيرًا بالاثنيان بمصدر هذا الحديث فوعد خيرًا ولم يف بوعده، وكأنه يظن أن الصحابة معتزلة أم أشاعرة؟ أين الإسناد أو يظن أنه يكذب على لسان رسول الله ﷺ وأصحابه ولا يسلط الله عليه من يطالبه بالسند؟ أم يظن أن المستمعين أعاجم فقط ولن يفتنوا للكذب؟

• زعم أن عائشة أخطأت حين قالت أن النبي ﷺ لم يكن يصفح النساء ولكن الصحيح أن النبي ﷺ كان يصفح النساء. وهذا افتراء على عائشة وكذب على رسول الله ﷺ. فقد جاء في حديث أميمة حين جاءت النساء يبأيغنه " اني لا أصفح النساء أما قلبي لعنة امرأة كقولني لامرأة واحدة".

^١ - شريط الفقه ٢٢٤، ٣٥.

^٢ - رواه ابن حبان (١٤) والترمذي (١٥٩٧) والنسائي (١٤٩/٧) وابن ماجه (٢٨٧٤).

خبر الواحد خير من أخباركم الموضوعة

ومن يتابع دروس ومؤلفات نفاة خبر الواحد في العقيدة يجدها محشوة بالضعيف والموضوع من الروايات مما هو أسوأ من خبر الواحد. مثال ذلك:

- زعم أن النبي كان ينادي في الأذان «حي على خير العمل»^١.
- زعم أنه عليه السلام قال «رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي»^٢.
- زعم أنه عليه السلام قال «لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من فارس». زعم أن البخاري ومسلم قالوا: هذا الحديث يتناول الإمام «أبو حنيفة»^٣.
- زعم أنه عليه السلام قال «من لا يتقي الله لا غيبة له»^٤.
- وأنه قال «إذا رأيتم العالم على باب الحاكم فاتهموه في دينه»^٥.
- زعم أنه عليه السلام قال «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً نكثاً نكثاً»^٦.

١ - تفسير سورة النور - فيديو ٢١٧,٥٠.

٢ - فيديو الهدف الاسلامي ١٥٤,٣٠.

٣ - شريط فيديو أبو حنيفة ٢٧, ١٠.

٤ - فيديو «أبو حنيفة الإمام الأعظم ١٥٨,٤٥.

٥ - تركتها كما قالها. فيديو: أبو حنيفة الإمام الأعظم ٢٤٠,٠٠.

٦ - أبو حنيفة الإمام الأعظم ١٨, ١٧.

• زعم أنه ﷺ قال « من قال أنا عالم فقد جهل ».

• زعم أنه ﷺ قال « رحم الله امرئ جب الغيبة عن نفسه ».

• زعم أنه قال « من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس مثلهم ».

• زعم أنه ﷺ قال « النكاح سنتي، فمن رغب عني رغب عن سنتي، ومن رغب عن سنتي فقد حرم شفاعتي يوم القيامة »^١. ولو صح لكان فيه حرمانه وحزبه من شفاعته ﷺ لأنهم يرغبون الناس عن خبر الواحد وغالب السنة منه.

• زعم أنه ﷺ قال « من صلى جنباً فقد كفر » فهو وحزبه يلبسون ثوب الغيرة على الحديث والحرص على قطعي السند وأكثر الأحاديث التي يذكرها من الضعيف بل والموضوع.

ولقد أثار هو وحزبه شغباً وفتنة كبيرة بين عوام الأعاجم حول أحاديث الأحاد وسيأتي الكلام حوله بالتفصيل.

وهذه الدندنة حول خبر الواحد ليست نابعة من الحرص على تنقية السنة من الأسانيد الباطلة والضعيفة بقدر ما هو تعصب لباني الحزب يصحبه تعالم ودعوى وليس في الحقيقة تقليداً للشافعي ولا لمالك ولا لأحمد ولا لأبي حنيفة.

١ - أبو حنيفة الامام الأعظم ١٥٩,٠٠ (شريط فيديو).

٢ - الهدف الاسلامي ٤٨,٠٠ (شريط فيديو).

٣ - الهدف الاسلامي ٢٤٧,٤٠ (شريط فيديو).

غرائب أقواله

• اعترف أن التفرق حدث بين المسلمين لأنهم استخدموا عقولهم في أمور العقيدة^١.

وهذا يتناقض مع النزعة العقلانية عند الحزب الذي ينتمي إليه. ويتناقض مع قوله في محاضرة أخرى « مصدر إيماننا هو العقل، وأنا لا أسمح لأي مسلم أن يقتعني أنه يستطيع أن يأتي بدليل من القرآن يثبت وجود الله، إذا لم يستطع إثبات وجود الله بالعقل فلا قيمة له. لا تقل لي أبدا قال الله قال الرسول قل: قال عقلي^٢ ». وقال « من جاءني يطلب مني الدليل على وجود الخالق لا يجوز لي أن آتية بأدلة من القرآن ولكن آتية بأدلة عقلية^٣ ». وهؤلاء يجترئون على تقديم عقولهم على أدلة الوحي لكنهم لا يجروا أحدهم أن يقول: إذا تعارض العقل مع قول شيخي قدمت عقلي على قوله!!!

• زعم أن من جعل الربا حلالاً يكفر كفراً أصغر^٤.

• زعم أنه يجوز للرجل أن يقلد الرسول ﷺ في لباسه ولكن لا يجوز له أن يقول: أنا أتبع سنة النبي ﷺ فإذا قال ذلك وجب على الخليفة أن يعاقبه بالجند، لأنه يدعي أن هذه سنة^٥.

• زعم أنك إذا توضأت من أجل قراءة القرآن فانت آثم^٦.

^١ - تفسير المائدة ٢/٢٩، ٢٠٠.

^٢ - شريط الديمقراطية الاشتراكية، تشريع الإنسان رقم ٣٥، ٣٢.

^٣ - فيديو ٢٣٢، ٠٠ تفسير المائدة.

^٤ - تفسير النور ٦/٤٦، ٢٧.

^٥ - تفسير المائدة ٢/١٥، ٢٠٥ و ٢٤٧ (فيديو).

- زعم أن الاذان والإقامة ليستا عبادة^١.
- زعم أن عمر ضرب رجلاً لأنه قال يا رب أنا عوبيدك [مصغر عبدك] وأمر بضربه أربعين جلدة^٢.
- زعم أن أبا حنيفة كان يحب الشيعة العلويين^٣. وأن معظم شيوخه من المذهب الجعفري العلويين شيعة الإمام علي كلهم من المذهب الشيعي.
- زعم أن الحكم الشرعي مبني على مجموعة من الظنون^٤.
- زعم أن العلماء قالوا نؤمن بالله، نؤمن باليوم الآخر: نصدق بعذاب القبر، نصدق بالمعراج (أي تحرزوا من قول نؤمن بعذاب القبر وبحادثة المعراج)^٥. وقد قال أبو حنيفة رحمه الله « وخبر المعراج حق فمن رده فهو ضال مبتدع »^٦.
- زعم أن قول الله « أقيموا الصلاة » لا تدل على الوجوب بذاتها، لو قلنا إن الأمر يفيد الوجوب لاضطربت الأحكام واختلط الحابل بالنابل، فالله يقول « وإذا حللتم فاصطادوا » فالصيد ليس واجباً بدليل قوله تعالى « فكنوا واشربوا »^٧.

^١ - تفسير المائدة ٢٠٦،٠٠ (فيديو).

^٢ - تفسير النور ٢٢٨،٠٠/٦ (فيديو).

^٣ - شريط فيديو (أبو حنيفة الامام الأعظم ٥٦،٠٥).

^٤ - الهدف الاسلامي ١٤٤،٢٠ (فيديو).

^٥ - الهدف الاسلامي ٢٣٣،٥٠ (فيديو).

^٦ - الفقه الأكبر ص ٩٢.

^٧ - شريط الصيام ١٠٤،٠٠.

وفي الحقيقة هو المختلط فإن اقتضاء الأمر للوجوب هو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وعامة الفقهاء ولا يحمل على غيره إلا بدلالة. وأما احتجاجة بقوله تعالى (وإذا حللتم فاصطادوا) فقد ذكر أهل العلم أن ما كان محظورا ثم جاء النص بإباحته عاد إلى الإباحة الأصلية التي كان عليها قبل الحظر كقوله تعالى (فالآن باشروهن).

ونرد عليه من خلال ما نص عليه أحد كبار الأشاعرة القدامى وهو أبو منصور عبد القاهر البغدادي رحمه الله حيث قال بأن: «أقسام الأمر ثمانية أولها الوجوب ويصرف عنها بدلالة إلى الترغيب والتدب والإباحة كقوله تعالى (وإذا حللتم فاصطادوا). قال: وناقضت القدرية [أي المعتزلة] في فرقها بين الأمر والنهي لأنها سلمت لنا [أي الأشاعرة] أن النهي يقتضي تحريم المنهي عنه وزعمت أن الأمر لا يقتضي وجوب المأمور به» انتهى.

فها قد شهد أشعري قديم على أن قول عمر بكري هو عين قول المعتزلة، وقد اتفق الأشاعرة والماتريدية على أن المعتزلة من أضل الفرق التي ظهرت بين المسلمين.

الاجتهاد حرام على الرسول ﷺ

زعم أن الرسول ليس مجتهداً ولا يجوز له أن يجتهد لأن الاجتهاد يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ. وهذا يتعارض مع ما قاله العلامة الحنفي الشيخ ملا علي قاري « ثم اعلم أن للأنبياء عليهم السلام أن يجتهدوا مطلقاً وعليه الأكثر أو بعد انتظار الوحي وعليه الحنفية واختاره ابن الهمام في التحرير وإذا اجتهدوا فلا بد من أصابتهم ابتداء وانتهاء كما في المسائرة »^١.

وقد تقدم أن عمر بكري يقول لخصمه عند مناقشته: هل أنت مقلد أم مجتهد؟ إما أن تكون مقلداً وإما أنك مجتهد: إثنان لا ثالث لهما.

وحينئذ نسأله عين السؤال الذي يسأله فنقول:

إذا كان الأمران لا ثالث لهما فهل كان رسول الله مجتهداً؟ إن قلت ليس مجتهداً لزمك القول بأنه مقلد لأنه لا ثالث للأمرين عندك!!

الرسول ﷺ يجب عليه طاعة أصحابه!!

وحين تكلم عمر بكري عن مسألة الشورى ابتدع بدعة غريبة مثيرة للعجب. فقد أتى بتفريق بين الشورى والمشورة زعم أن المشورة هي أن يرى أهل الشورى رأياً يلزمون به الحاكم. قال: ولذلك ألزم الصحابة رسول الله أن يطيعهم في رأيهم فمع أنه رأى رأياً يخالفهم ولكنه مجبور أن يخالف رأيه ويطيعهم.

وزعم أن النبي ﷺ قال للصحابة «ما اتفقتم عليه ما خالفكم».

^١ - الفقه الأكبر بشرح قاري ١١٢.

والجواب:

أولاً: هذا جرأة وتناول على الأنبياء وتناقض حين زعم هو وأقطاب التحريريين أنه لا يجوز في حق النبي أن يكون مجتهداً لأن ما يقوله وحي من عند الله. فإن كان الأمر كما زعم فقد جعل الرسول من جملة من يتبعون غير سبيل المؤمنين إذا هو خالفهم. ثم بما أن الرسول لا يجتهد وإنما هو «وحي يوحى» فقد جعل وحي الله موقوفاً مشروطاً على موافقة الصحابة له، فإن رأوا أمراً خالفهم الرسول فيه لزمه الغناء الوحي وطاعتهم.

ثانياً: قد اعترف بكري أن الرسول اجتهد في أول الأمر في شأن عذاب القبر فأنكر عذاب القبر أولاً واتهم المرأة اليهودية بالكذب وأنه لا عذاب قبل يوم القيامة ثم بعد أيام غير موقفه فأثبت عذاب القبر وأمر بالاستعاذة منه؟

والسؤال: ألم يكن إنكاره في أول الأمر اجتهداً ثم أراه الله ما لم يكن يعلم فغير موقفه؟

وماذا عن سورة عبس وتولى. وقد رد الله اجتهداه. وعن قوله تعالى «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» وقوله «عفا الله عنك لم أكن لهم» فإما أن يكون ذلك اجتهداً منه وإما يكون الله عاتبه على ما أوحى إليه!

• وقد نشر الآفة التحريرية حول عذاب القبر، فزعم أنه يصدق بعذاب القبر وبالمهدي ولكنه لا يؤمن بعذاب القبر ولا بالمهدي (تصدق ولا تؤمن) (تصدق بلا إيمان)!

(WE TRUST BUT WE DO NOT BELIEVE)

وقال: أنا أحتكم على التصديق بعذاب القبر بمجيء المهدي ولكن من آمن بذلك فهو آثم.

وتسمية هذا تصديقاً ليس من خصال الصادقين، والأحرى أن يسمى تلاعباً ومراوغة وليس تصديقاً، بل هو تصديق مشكل شبيه بمشكلة الكسب عند الأشعري والظفرة عند النظام والأحوال عند أبي هاشم.

وقد سخر بكري ممن اعتقدوا بالمهدي قائلاً: أي مهدي تقصدون: المسيح أم الخلفاء الراشدين المهديين أم المهدي المنتظر الذي عند الشيعة؟

ولكن ربما كان يعني بكري مهدي الرافضة الذين يعطي دروساً على فقهم الجعفري: الذين يزعمون أنه غاب في السرداب منذ ألف وأربعمئة سنة وما زال فيه حياً يأكل ويشرب. وهو ينتظر لحظة الخروج ليبيعث الله له أياً بكر وعمر وعائشة وسائر الصحابة ليقتلهم من جديد. فليسأل بكري من صاهرهم: كيف يقبلون في مذهبهم عقيدة كهذه؟!

وهذان الموضوعان (عذاب القبر والمهدي) سيأتي الكلام حولهما بالتفصيل.

حزب التحرير ومسألة الخلافة

دغدغة العواطف حق يراد به باطل

الجهاد * الخلافة * الحاكمية * الوحدة * تنزيه الله * ذكر الله

ما أجملها من كلمات حقة ولكن ما أكثر ما قد تطلق ويراد بها باطل. وكثيراً ما تكون الشعارات المدغدة للعواطف وسيلة في التضليل. وهل خدع القساوسة عوام التصاري وعلومهم الشرك الا بدغدغة العواطف؟

فالصوفية يدغدغون العواطف تحت شعار الذكر فمن استجاب لهم علموه بدع التمايل والتصفيق والرقص باسم الذكر. ومن أنكر ذلك قالوا له: أنت تكره ذكر الله وتكره الصلاة على رسوله.

وآخرون يدغدغون عواطف المسلمين تحت شعار الجهاد فمن استجاب لهم شغلوه بالغنائم والسبايا باسم الجهاد وبدأوا بجمع الغنائم من غير قائد يقسمها بينهم بالسوية!

وإذا جاز سرقة أموال الكفار جاز وطء نساءهم.
وإذا جاز الأمران جاز قتل رجالهم وأخذ الربا منهم كما عند الأحناف.

ولكن: أين الذين يحملون شعار توحيد الله أولاً، وصيانة دينه من البدع ويوالون ويعادون على ذلك؟ أين الخلق الاسلامي الذي يراه الكافر في المسلم والذي بسببه دخل كثيرون في الاسلام في الماضي؟

هؤلاء لا رحمة عندهم يريدون سلب ما عند الكافر من دنيا، وأن يغادروها كافرين الى جهنم وكأنه لا يستحق أن يكون مسلماً!

ومن أنكر عليهم قالوا: أنت تكره الجهاد.

والوحدة شعار يستخدم في تمبيع عقيدة المسلمين والاخلال بمواقف الولاء والبراء ومداينة طوائف وفرق الشرك والبدع ومزج السنة بالبدعة تحت ذريعة وحدة الجهود لمواجهة العدو المشترك.

والخلافة اسم آخر مناسب لدغدة العواطف جعل التحريريين يطالبون الخميني أن يكون خليفة المسلمين ويجيزون طلب النصر من المشركين وشككوا عوام المسلمين بأحاديث الأحاد التي حكى الشافعي إجماع الأمة على قبولها. وبغذاب القبر وبنزول المسيح وظهور المهدي. وحرّموا على النبي ﷺ أن يكون مجتهدا. وأجازوا تقبيل المرأة ومصافحتها والنظر إلى صورها؟

فإذا أنكر عليهم منكر قالوا: هذا ليس وقته ولا يليق بك التفرغ لفتح هذه الأمور المفارقة للوحدة أنت فتان تعمل على تفتيت الأمة ولا تريد للمسلمين استعادة خلافتهم أنت عميل تعمل لحساب أعداء المسلمين.

توحيد الله هو الغاية أم الخلافة؟

الخلافة أم التوحيد؟ أيهما الغاية وأيهما الوسيلة. وهل خلق الله البشر ليوحدوا صفوفهم أم خلقهم ليعبدوا الله وحده.

والمطلع على منهج حزب التحرير يلحظ شغف الحزب بموضوع الخلافة. ولا يرى مأساة للأمة غير ضياع الخلافة وكأنه لا يرى ضياع عقيدتها وتوحيدها الذي كان السبب المباشر لضياع خلافتها.

ولقد بلغ الغلو بالحزب أن جعلوا كل عمل إسلامي موقوفاً على عودة الخلافة، وعندهم لا تقوم قائمة حتى يأتي الخليفة فقد قال عمر بكري « في غياب الخليفة لا يوجد شيء اسمه قضاء ».

وما من شك في أن الخلافة مطلب مهم وأساسي في الأمة لتعود لها سيادتها، ولكن مع أهميتها فاتها وسيلة لتحقيق التوحيد الذي هو الغاية التي خلق الله البشر لأجلها، ولا يجوز إهمال الدعوة إلى التوحيد حتى وإن فقدت الخلافة، ولا يجوز تقديمها عليه، ولا يجوز جعل الغاية وسيلة والوسيلة غاية. هذا قلب لسلم الأولويات ومخالفة لمنهج النبوة. ولا يجوز إيقاف العمل لهذه الغاية حتى تتحقق الوسيلة. فإن الخلافة تمكين: والتمكين مكافأة ربانية للالتزام المجتمع بأمر الله، والتمكين له شرطان «يعبدونني لا يشركون بي شيئاً».

المهم في الخلافة أنها خادم تخدم الدعوة إلى التوحيد - أهم أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تحتاجه البشرية جميعها.

ولئن كان الحزب ينطلق من مبدأ الآية «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» كما زعموا. فلعلموا أن التوحيد أول وأعظم أنواع المعروف كما أن الشرك أعظم أنواع المنكر.

هل هذا الحزب أمار بالمعروف نهاء عن المنكر

ولقد عهدنا الحزب يتخذ من الآية شعاراً يوجب كل شيء حتى الأمر بالمعروف والتهوي عن المنكر إلى وقت قيام الخلافة.

عهدناهم إذا أمرنا بمعروف أو نهينا عن منكر يقولون:

دع الحديث عن هذه الأمور حتى تقوم الخلافة، لأن الخليفة إذا قام سوف يغير كل هذه المنكرات بجرة قلم.

فاذا قامت الخلافة نهوا أيضا عن التحدث حول هذه الأمور لأنها قد تفرق وحدة المسلمين وتهدد بزوال الخلافة. وهكذا تقوم الساعة ولا يقوم أمر بالمعروف ولا نهى عن منكر.

ونحن لا ننتقد على الحزب اهتمامه بالسياسة. ولكننا ننتقد عليه انشغاله بالسياسة على حساب الأمور المهمة الأخرى. وننتقد عليه إقفره من التكوين إلى الخلافة وإقتدائه بالحركات التحريرية القومية، فإن التحريريين نظروا إلى سقوط الكنيسة فرأوا أن رجال الفكر هم السبب في سقوطها، وسبب تمكنهم كونهم أصحاب فكرة وأن الفكرة تحدث انقلابا كما حدث للفكر حين هاجم الكنيسة.

ضرورة دراسة السيرة النبوية

الحزب يفتقد مرحلة التربية والعبادة وهو الهدف الذي تفرغ له النبي ثلاث عشرة سنة في بناء لبنة المجتمع الجديد.

وهذا سر في فشل الحركات الاسلامية عند بداية الطريق، ذلك أنها لا تأخذ بالاعتبار أهمية الإعداد التربوي لأنها تأصلت على التعجل وارتقاب أسرع النتائج بأقرب الأوقات.

والمشكلة مع الحركات الاسلامية أنهم لم يقدروا لهذا العدو قدره وأنه يتخذ أشكالاً متنوعة في مواجهته للإيمان وأهله تارة بالبطش إن تمكن وتارة بالمناقة إن ضعف. ويتخذ سائر أنواع التهيب والترغيب التي لا يصبر عليها إلا من تربى التربية الايمانية الصحيحة الموافقة للتربية النبوية للجيل الأول من سلف هذه الأمة. هذه التربية التي أنتجت رجالاً يقدر الواحد منهم بأمة يعز وجود أمثالهم في التاريخ.

وغفلوا حقيقة ارتباط ملة الكفر من الداخل بإخوانهم من الخارج وأن الذين في الداخل ليسوا هم العدو الوحيد الذي إذا قضينا عليه استتب الأمر لنا فهذه بدائية في العمل السياسي انطوى عليها كثيرون ممن يدعون فقه السياسة.

أن في دراسة السيرة النبوية حلاً لكثير من المآزق التي نواجهها اليوم. لتعرف كيف كان الموقف النبوي تجاه الكفر البطاش في أوائل الدعوة وكيف كان موقفه من الكفر المنافق المترص في أوج الدعوة.

لا وقت للتباكي على سقوط الخلافة

قبل البكاء على الخلافة يجب أن نفكر لماذا أذن الله بهدمها مع وعده بالنصر كقوله «وإن جندنا لهم الغالبون». وإنما يريد الله منا أن نغير ما أقسده الأوائل من البدع والشركيات لا يكفي أن نذرف الدمع على ذهاب الخلافة ولكن يجب أن نأخذ العبرة. ونتدارك الأخطاء للمستقبل.

ففي غزوة أحد عصي الزمارة الرسول حين أمرهم بملازمة الجبل ولم يفعلوا فوقعت المصيبة (أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) تركوا منازلهم وأولادهم وأزواجهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم يخطئون خطأ صغيراً بالنسبة لأخطاء المسلمين اليوم: ومع ذلك فتأتي العقوبة وتنزل المصيبة ليتعلم من يأتي بعدهم أن الأصل بقاء وعد الله بالنصر والتمكين وأن الذنوب تأتي أمراً طارئاً توقف الوعد وهي حالة استثنائية. ولو بقيت الطاعة لبقى الوعد سارياً.

سنن كونية يتحدث عنها القرآن

وهذه نصوص قرآنية تؤكد أن ما أصابنا هو ضريبة تدفعها الأمة ثمناً للذنوب والإعراض الذي ساد في أكثر أبنائها: قال تعالى:

﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾ وهؤلاء دأبهم: وما أصابكم من مصيبة فيما كسب عدوكم.

﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾.

﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾.

﴿وإننا إذا أدقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾.

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾.

﴿كذلك نبليهم بما كانوا يفسقون﴾.

وكان من دعاء العباس يوم الاستسقاء « اللهم ما نزل بلاء الا بذنوب وما رفع الا بتوبة ».

فحصر الجريمة باعداء المسلمين تغافل وتجاهل للسبب الأول الذي تسبب في هزيمة وتمكن عدو... الخ.

والحل هو التوبة والعمل الجماعي على إصلاح ما فسد في المسلمين (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب).

لماذا هدمت الخلافة وليس كيف!

وقد أجاد الأستاذ عبد القديم زلوم (التحريرى) في بيان كيف هدمت الخلافة بتفصيل دقيق. غير أنه لم يبحث لماذا هدمت الخلافة، وسكت عما شاب أمة الحق من الباطل الذي آل بها الى هذا الحال.

إن البحث عن سبب هدم الخلافة أولى وأجدى من البحث عن كيفية هدمها، حتى نتدارك الخطأ الذي تسبب في هدمها.

وفي هذه المصائب خير للأمة من الناحية الأخرى، فهي إنذار من الله وتعجيل ننبوي في العقوبة، ودفع لنا بالعودة اليه، فلذلك هي رحمة. والا: فلو شاء لتوفانا على هذه الحال وختم لنا بهذه الخاتمة.

مستی الخلافة

ویتوقع حزب التحریر أن یتسلم الخلافة مكافأة على تشکیكه بالسنة؟ وعرض الخلافة على الخميني وأن یبسطوا الیه أیدیهم لمبايعته على المنشط والمکره.

وفاتهم أن الخلافة القادمة تكون على منهاج النبوة، ومنهج الخميني مخالف لمنهاج النبوة، ثم ان الخميني لم یبال بوفد الحزب الذين قابلوه ليعرضوا علیه هذا الأمر حتی وإن أثنى الحزب علیه وعلى كتابه الحكومة الاسلامية.

فان الخلافة يجب أن تقوم عند الخميني على منهاج نصیر الدين الطوسي سفاح بغداد ومحمد ابن العلقمي: الرافضيان اللذان تسببا في قتل مليوني مسلم وتسليم بغداد الى التتار، ولا يستحيي الخميني من التثناء على الطوسي ويصرح بأنه ما من أحد قد أسدى خدمات للإسلام مثله. ذكر ذلك في كتابه (الحكومة الاسلامية) الذي أبدى حزب التحریر إجابته الشدید به حتی قالوا: أفضل شيء عمله الخميني على الإطلاق هو تأليفه لكتاب «الحكومة الاسلامية».

ترى أين سیر بنا هؤلاء المغفلون لو رضينا بهم قادة للعالم الاسلامي وسنمناهم زمام الخلافة؟

١ - كانا وزیرین شیعیین عند الخلیفة العباسی (انظر تفاصيل خيانتهم في البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٠/١٣ - ٢١٩ وكتاب دول الاسلام للذهبي ١٥٩).

ماذا قدمتم للخلافة

وحزب التحرير يريد الخلافة ولكن: ما هي الخطوات التي اتخذها في سبيل ذلك؟

عرض على الخميني أن يكون خليفته؟ هل أعطاهم المسلمون تفويضا بالمفاوضة مع الخميني باسمهم؟

أليسوا يزعمون أن خلافتهم ستكون بالشورى؟ هل شاوروا الأمة قبل أن يعرضوها على رافضي؟

أهذه الخلافة الراشدة المنتظرة: أن تقوم على يد الخميني؟ خلافة تحت راية الخميني وتحت راية من يشتمون الصحابة ويتهمونهم بتحريف القرآن ويطعنون في زوجات نبينا ويتخذون المقابر مساجد ويحافظون على أحقاد الفتن القديمة بإحياء حفلات عاشوراء وانتظار عقيدة الرجعة يوم الانتقام الموعود؟! إن خلافة كهذه لا تقوم.

أعدتكم للخلافة جحود أحاديث الآحاد التي تمثل معظم أخبار السنن وما عند البخاري ومسلم؟

أعدتكم لها تمجيد العقل وتقديمه على النقل على غرار المعتزلة؟
أعدتكم لها مصافحة المرأة وتقبيلها والنظر الى الصور العارية؟
أعدتكم لها تشكيك الناس في عذاب القبر ونعيمه ونزول المسيح وظهور المهدي ومعراج النبي؟
أعدتكم لها خليفة رافضيا؟

فالحمد لله الذي لم يجعل الخلافة عن طريق حزب التحرير والا لخذلونا وجعلونا لقمة سائغة للباطنيين الذين يعتقدون «عقيدة الرجعة» وقيام صاحب الزمان بفارغ الصبر للانتقام من زوجات النبي وأصحابه! نحن نمهد للخلافة بتنظيف الطريق اليها من بدع المبتدعين وشرك المشركين وتحريف المحرفين والدعوة للعودة الى ما كان عليه الأسلاف الأولين لئلا يمنحنا الله هذه الخلافة التي ما فقدناها الا بسبب مخالفتنا نهج السلف الصالح.

مملكة العثمانيين لا الخلافة العثمانيين

لقد كان العثمانيون سلاطين وملوكا ولم يكونوا يوما ما يعملون بنظام الخلافة. بل كان ملكهم عضوضا واركبوا مجازر وأعمالا بشعة وخيم في عهدهم ظلال الانحراف العقدي والبدع والشركيات. فالخلافة لم تسقط سنة ١٩٢٤ كما هو الشائع عند كثيرين. فهل تغارون على الخلافة أم على مملكة عثمانية؟

ولماذا يعترض بكري علي معاوية قائلا « مصيبة الأمة بدأت عندما سلط معاوية ابنه بالتسلط »^١ فلماذا يتباكى على مصيبة الملك العثماني العضوض الذي لم يكن سقوطه الا يعلم الله واذنه حيث صارت الدولة العثمانية حامية حمى البدع والشرك وصارت تنفي كل من يعترض على أرياب الخرافة كما فعلت بالشيخ الألويسي حين كتب كتابا في الرد على يوسف النبهاتي المخرف^٢

وتعرض فيه لمحمد الصيادي شيخ الطريقة الرفاعية الذي صار هو الأمر النهائي عند السلطان عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين.

فالله هو الذي سلط العدو فسلبنا الخلافة ولم يكن تمكنه له الا لحكمة بالغة لنزيل هذا الركام الهائل من الخرافة والشرك الذي نصرته الدولة العثمانية وجعلت من البدعة والشرك توحيدا وسنة يعاقب مخالفوهما.

ما أصابنا كان يسبب من أنفسنا، فهل عند المتباكين على ذهاب الدولة العثمانية تفسير آخر لذهاب الخلافة؟

هل نقول: اتنا على طاعة وننتظر نصر الله لكنه لا يريد نصرنا لسبب ما زلنا نجهنه! هل يجوز اعتقاد الظلم في الله أو هل يجوز أن نشك في

^١ - شريط الصيام ٤٣٠.٠٠٠.

^٢ - جد تقي الدين النبهاني صاحب الحزب.

حكمته وعلمه وهو الغفور الشكور الذي قال ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما﴾، والذي قال ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾.

إتنا أن نشك في أنفسنا أولى من أن نشك في وعد الله.

ولا تكاد تجد من يذكر الناس بأيتين مهمتين وهما:

﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

في توحيد المنهج توحيد المصنف

وتوحيد الأمة ضروري ولكن توحيد الصفوف مكافأة زبانية. قال تعالى ﴿هو الذي أيدك بنصرته وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم. لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾. وقال ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾.

ولن يمنحنا الله هذه المكافأة إذا رضينا بالبدعة والشرك وقلنا للمشركين والمبتدعين تعالوا نتحد مهما كانت عقيدتكم.

إن تطهير الصف الداخلي للمسلمين من أسباب تماسك الخلافة ووحدة المسلمين لأن عدو المسلمين يحرص على ضربهم من الداخل وهو يعلم أن ضربنا من الداخل أكثر هدماً للأمة من ضربها من الخارج.

لقد تجاهلوا الصراع داخل الإسلام تجاهلاً تاماً واكتفوا بالحديث عن الصراع الخارجي، وفاتهم أن الإسلام لن يمكنه الوقوف أمام أهل الباطل من الخارج إن كان ممزقاً من الداخل.

امنعوا الحزبيين من الكلام عن وحدة المسلمين

وقد فرق الحزبيون المسلمين أحزابا وغطوا هذا المنكر بتكثير الكلام عن وحدة المسلمين. وأما الحزبيون هم المفرقون الحقيقيون بحزبيتهم لوحدة المسلمين فلا يليق بهم التحدث عن وحدة المسلمين لأنهم ارتكبوا جريمة التحزيب التي شقت الصف وسيست وجه الدين والت إلى التخريب.

ويجب التحدث عن فقدان الدين قبل الحديث عن فقدان الأرض: لأن خسارتنا في الدين أفدح من خسارتنا للأرض، وما خسارة الأرض إلا عقوبة دنيوية وبلاء يریده الله أن يكون درساً لنا لنعود إليه. وقد يترتب على خسارة الدين خسارة الدنيا والآخرة.

وإذا كانت الأرض لله يورثها من يشاء. فكذلك الجنة لله يورثها من يشاء من عباده.

فاعملوا على العودة إلى الدين على منهاج السلف الصالح يحقق الله لكم دينكم ويعد لكم أرضكم وينصركم على عدوكم.

أن أول عامل في وحدة المسلمين إنما هو في توحيدهم على منهج واحد وفق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. ورحم الله ابن تيمية إذ يقول «إن الناس إذا تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فلا بد أن يختلفوا».

نعم، إن تعدد الجماعات هو نتيجة طبيعية لتعدد المناهج وانحراف المفاهيم والعقائد وقد جرب المسلمون كل شيء ولم يتوحدوا ولو جربوا هذا الطريق لوجدوه كفيلاً بتوحيدهم. وقد اعترف النبهاني^١ أن سبب سقوط الخلافة الإسلامية عدم فهم الإسلام فهما صحيحاً.

١ - الدولة الإسلامية (ص ١٣١).

الامة عند حزب التحرير كلها آئمة

ويعتبر التحريريون كل المسلمين آئمين في أيماننا لأنهم لم ينصبوا خليفة من غير تفريق بين حالة عجز الشخص وحال استطاعته. رغم أن الرسول فرق بين الحالتين فقال «تلتزم جماعة المسلمين وامامهم» قال: فان لم يكن لهم امام (أي خليفة) أو جماعة؟ قال: تعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تلقى الله وأنت على ذلك^١. ولم يقل له تكون آئما لأنك لم تنصب الخليفة.

وهذا الحديث عندهم آحاد وليس بمتواتر. ولكن: أليس من حقنا أن نطالبهم أن يثبتوا عقيدة تحريم الأخذ بخبر الآحاد في العقيدة بدليل متواتر قبل مطالبتنا بالتسليم لهم بذلك؟ وهو ما لن يجده: لا من القرآن ولا من السنة ولا من الصحابة وتابعيهم.

١ - رواه مسلم وهو عند البخاري.

احتجاجهم بحديث من مات وليس في عنقه بيعة

ولكن: هل يحق لهم وحدهم الاحتجاج بالآحاد متى شاؤوا؟

فأنهم يحتجون بقول النبي ﷺ « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » وهذا الحديث رواه مسلم عن ابن عمر بلفظ « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه... » فهذا حديث غير متواتر فكيف جاز لهم ذلك؟

ثم اتهم لا يروون الحديث كاملاً لأن ذلك يكشف سوء استدلالهم، هم حزب، وإنما يريدون تكثيف الإتيان فيحتجون بالقطعة الأخيرة من الحديث فقط. ومعنى الحديث النهي عن الخروج على الإمام أو رفض إعطائه البيعة. وروى مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شيئاً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية ». وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية ».

فهذه النصوص تتعلق بوجوب طاعة الإمام القائم لا عن وقت لا أمير فيه ولا بأمير الحزب الذي كثر انشاء أمثاله على غرار احزاب الكفر التي أعجب بها الحزبيون الاسلاميون وكان لهم فيها أسوة فافتقدوا بها ولم يقتدوا بسيرته ﷺ النبوية التي فيها خلاص للأمة مما تواجهه.

وليس معنى الحديث أن الذي يموت في زمن ليس فيه جماعة ولا إمام أنه يموت ميتة جاهلية. بدليل حديث حذيفة السابق.

وما ننب عوام المسلمين إن قدر الله لهم أن يوجدوا في زمان ليس فيه خليفة. والله تعالى يقول « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ».

الأمة آثمة أصلاً بترك الدعوة

والله إن الأثم الأعظم من إثم فقدان الخلافة هو إثم ترك الدعوة إلى الله التي يجب أن لا يعطلها فقدان الخلافة، فمن المسئول عن هؤلاء الذين قاتهم معرفة الدين الحقيقي؟

لا سيما من يعيشون في بيئة كفر لا يمنع أهلها أحداً من الدعوة إلى الإيمان ثم ينشغل الغياري على الدين عن دعوتهم إلى الإيمان لا تشغلهم بأمور السياسة. وينصرفون عن الدعوة في مكان الدعوة.

لقد جهلوا أن وضع الأمة المتردي خضوعاً واستسلاماً وعقيدة وسلوكاً ومنهجاً هو الذي أردأها وخلفها وراء الأمم وأفقدتها سلطاتها وهيبتها بين الأمم.

فهي على ما تعاني من هذه السلبيات ليست مؤهلة للريادة والقيادة مما يحتم العودة بها إلى التمسك بهدي السلف قبل أن نخوض بها طريقاً لن ترضى خوضه لافتقادها الصفات التي تحلى بها السلف الذين تربوا أولاً ثم مكن الله لهم وسادوا العالم.

فمن لم يلحظ هذه النقطة المهمة لن يبالي قفز سلم الأولويات وسرعان ما سيسقط كما سقط الأولون. وبالرغم من علمنا بسقوطهم فأتنا لا نتدارك أخطاءهم وأما تجدنا نكرر نفس تجربتهم ونسقط نفس سقوطهم وهذه مصيبة أدت إلى أفدح الخسائر.

صحيح أنه يجب علينا أن نحارب اليهود والنصارى. ولكن لا بد أن نعلم أننا لن ننتصر على اليهود والنصارى ما دام عندنا من البدع والمخالفات ما ركبنا به سنن من كان قبلنا. وأن هناك حركات شركية صوفية مبتدعة يحرص اليهود والنصارى على دعمها ونشرها بيننا لأنهم يعلمون أن وجود هذه العناصر بين المسلمين يزيد من ضعفهم وتفرقهم واختلافهم فيما بينهم.

وإذا كان الأمر كذلك: وإذا ثبت أن أهل السياسة يجعلون من عملهم السياسي التصدي للدعوة الإصلاحية المنادية بالاعتصار على الكتاب والسنة ونيز البدع والشرك فإني متخذ من دعوة الإصلاح سياسة لي أعلم أنه سيكون لها أسوأ الأثر على عدو هذه الأمة.

العقيدة الصحيحة تجمع ولا تفرق

إن الدعوة إلى توحيد الصفوف تحت ظل العقيدة الصحيحة هو الذي يؤدي إلى توحيد الأمة. فهي الخطوة التي يخشاها العدو.

لن تكون العقيدة سبباً في تفرق الأمة. ففي الوقت الذي ينادي فيه الآخرون بوحدة الأمة ننادي نحن بتنقية الأمة ثم بتوحيدها لأن تنقية الأمة من أصناف البدع والشرك هو الذي يحقق لها الوحدة الحقيقية. فالبدعة والشرك سبب تفرق الأمة، وسبب ذهاب الأنبياء من قبل.

إن فساد حالتنا لا يرضي الله وبالتالي فهما حاول المخلصون العمل على توحيد الصف فلن يتوحد إلا بوحدة المنهج،

فكلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة.

ويبقى النداء بالوحدة مع الشيعة والصوفية وغيرهم شعاراً مستهلكاً وخدعة فإن أهل الباطل لا يسامون على باطلهم ولا يتنازلون عنه.

الجهاد حيث لا يوجد جهاد

ويخطيء حزب التحرير حين يروج للجهاد في أماكن لا وجود للجهاد فيها مثل حملات الدعوة إلى الجهاد في جامعات بريطانيا ودعوة المسلمين للخروج إلى الشوارع وعمل المظاهرات هناك بما أسموه *Rally for Islam* ويخشى أن يكون هذا تقريرا لطاقت الشباب، فإن المطلب المناسب والملح لهذا المكان هو الدعوة التي يصرفهم عنها الشيطان حيث لا حرب هناك، وإنما الأرض خصبة للدعوة ولكن كثيرا منهم يؤفكون عن الدعوة ويصرفون عنها إلى ما لا خير للإسلام فيه، هو مكان يستطيعون التحدث فيه عن الإسلام والدعوة إليه من غير أن يمنعهم أحد.

إنهم مسؤولون عن ترك دعوة هؤلاء الذين لو أسلموا لكان خيرا للأمة. وخروجا بها من كثير من الأزمات التي ربما كان ترك الدعوة أحد أسبابها وعقوبتها.

فأما الدندنة حول الجهاد بين أوساط الكفار بما يشير عصبيتهم وصلبيتهم القديمة من غير دعوتهم إلى الإسلام لا سيما وهم لا يمنعون من الدعوة إلى الإسلام فهذا من مكائد الشيطان وصورافه.

ولما أن قام جماعة التبليغ في أفغانستان بدعوة المجاهدين المرابطين في الخنادق والثغور للخروج (في سبيل الله) يقصدون الخروج معهم للدعوة قام زعماء المجاهدين ضدهم وصدر أمر بطردهم والاعتراضوا للقتل. لماذا؟ أليس لأنهم يتحدثون عن الدعوة في مكان جهاد ضد الملحد الروسي. فكذلك استثارة الناس إلى جهاد لا في محل: إنما هو استفراغ للطاقت ونشرها في الهواء، والاقتصار على مخاطبة العوام من زاوية العاطفة بمعزل عن العلم إنما هو الكمين الذي منه يتسلط أئمة السوء على العامة كما يفعل الروافض وكذلك قساوسة النصارى مع عوامهم.

ولم يكن النبي ﷺ يحرض المؤمنين على القتال حين كان في مكة
واتما كان يربي أصحابه وينذر الناس.

وهؤلاء لا يغيثهم موت الملايين من الكفار على الكفر إذ ليس للدعوة
الأولوية عندهم. واتما للخلافة قبل كل شيء، ولا بأس أن تمر عقود
يموت خلالها مئات الملايين موت الأنعام من خير أن يعرفوا الحق.

وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد

قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ».

وقد أعجبني قول السبكي « يؤخذ من الحديث أن المقصود بالقتال إنما هو الهداية، وما سواها من الشهادة.

وقتل الكافر ليس بمقصود، ولكنه إذا لم تحصل الهداية يدوم القتال فيؤدي بضرورة الحال إلى أحد أمرين:

إما قتل المسلم الذي بذل نفسه لهذا المقصود وهو أعظمها وهو الشهادة.

وإما قتل الكافر وهو ليس بمقصود أصلاً لأن فيه إعدام نفس يرجى إسلامها وإسلام ذريتها، فانقطع هذا الرجاء بموتها على الكفر وليس ذلك بمقصود ولا وسيلة إلى المقصود بخلاف الشهادة، وإنما هو ضرورة أدى إليه الحال، والكافر هو الذي قتل نفسه بإصراره على الكفر ومقاتلته عليه، فليس فيه من المصلحة إلا ما يحصل لمن بقي من الكفار من الرعب في قلوبهم، لعظم يرجعون إلى الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى.

ومن هنا يظهر أن وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا وجوب المقاصد، وأن التوصل إلى الهداية بغير الجهاد لو أمكن أفضل، حتى لو فرض جماعة من الكفار يمكن إبانة الحق لهم بالدليل والبحث حتى يرجعوا عن كفرهم ويسلموا كان أفضل من جهادهم. ومن هنا يعلم أن مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء». انتهى وهو كلام نفيس جداً.

مجالس التكفير

ومما يسيء للصحة الإسلامية اليوم تداول مسائل الحكم بالكفر بين الشباب وفي مجالس السمر، بل وحكموا على مخالفتهم في رؤية الكفر بالكفر والتخاذل والجبن ومناقشة الطواغيت... الخ.

وقد جهلوا أن المخطيء في التكفير أعظم خطراً من المخطيء في عدم التكفير. وأن الكلام حول التكفير الاجتهادي من شأن أهل العلم والحكمة والحلم والتروي وليس من شأن المتعجلين.

واتخذت بعض الجماعات من التكفير ذريعة للخروج لأنه ما لم يقع تكفير فالصبر واجب « إلا أن تروا كفراً بواحا » ولهذا لم يفكروا في جدوى الخروج ومدى الاستطاعة من الخروج حتى وإن كان الكفر بواحا وهذه قاصمة الظهر التي لم تدرس بعناية بين من نحسب اخلاصهم للإسلام وتحمسهم لأجله مما أدى إلى زيادة ضعف من جانبهم وزيادة تمكن من جانب خصومهم.

بدء الجهاد

كما أن هناك بدء في الأذكار وبدء في الطهارات وبدء في الصلوات فكذلك يوجد مخالفة للهدى النبوي في الجهاد.

وكما أن للوضوء سنناً وللصلاة سنناً فكذلك للجهاد سنن وضوابط: ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في مراحل ضعفه وقوته وصبره وجهاده. فمع أنه كان مؤيداً من الله بالنصر والمعجزات إلا أنه في حالة الضعف لم يفعل ما يفعله الناس اليوم من تصرفات تبرر للعدو كيلاً بالضربات التي تزيد في ضعف المسلمين.

وقد خبرنا في العقود الماضية حركات انتهجت منهج التعجل والتهور ثم هي اليوم أكثر موالة للظالمين ومجاملة للباطل وتهويناً من شأنه. ولو صبروا ووسعهم ما وسع النبي ﷺ لما وقع لهم ما وقع. ولكن العجلة يقوت بسببها خير كثير.

وما نتيجة التعجل؟ تعرض خلاصة من الشباب إلى الفتن. ولا يزال الروافض يملكون المتعجلين ويدفعون بهم نحو الهاوية لما فيه من استنزاف طاقات المسلمين وتخليص الأمة من شبابها. وبعد مرحلة الضعف تبسط دولة الفاطميين سيطرتها على العالم الإسلامي.

وما كان المسلمون يعرفون جهاداً بلا قائد ولا أمير ولا جيش إسلامي. ولا قتلاً بدون موافقة ولي أمر المسلمين.

إن الإسلام نظام كله، ليس في القبادات فحسب ولا في معاملات البيوع فحسب بل حتى في أمور السلم والحرب والتعامل مع العدو والكافر والمنافق. ولنا أن ننظر بأي هدوء ونظام تم التعامل مع المنافقين في المدينة حتى أن الشيخين لم يكونا يعرفان أسماءهم بالتعيين من النبي.

ومثل هذه الفوضى يستغلها مجرمون يقتلون لأسباب شخصية. فإذا سئلوا عن ارتكاب الجريمة: قالوا: شككنا في تعاونه مع العدو.

فهذا الجهاد الذي يدعو إليه اليوم شرذمة من المتعجلين من عصايات واغتيالات وتفجيرات لأماكن عامة ليس من سنته ﷺ وقد قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ».

العهد المكي والعهد المدني

في هذين العهدين فوائد كثيرة أهمها: تعليمنا كيف نتصرف في موقف الضعف والقوة. لقد كان همه ﷺ انقاذ الكافر من النار ما أمكن ولو بتأليف قلبه بالمال كما فعل يوم حنين مع صفوان.

ولا عبرة بقول من قال: ان العهد المكي منسوخ ولاوجود له بعد قيام الاسلام في البلاد، فإن المسلمين متى صاروا قوة فحالة ضعفهم منسوخة بحالة القوة في أي وقت ومكان وتبقى حالة الضعف الأولى درساً يعلمنا كيف نواجه الكفر في حالة الضعف.

ومن قال إن حالة الضعف منسوخة دائماً فقلوبه مناف للحكمة وهو يعرض المسلمين للمجازر والمذابح ويزيد الاسلام ضعفاً. فإن الصبر إنما هو تعبئة لمرحلة قادمة. وأما عدم الصبر فهو يعطي المبرر للعدو القوي لكييل الضربات المتتالية بين فترة وأخرى بما لا يعطي للمسلمين نفساً لاستجماع قواهم.

إن الجهاد مناسب في وقته المناسب وفي مكانه المناسب: تلك هي الحكمة والمطلوب من المسلم أن يكون حكيماً وأن يسأل نفسه:

• لماذا لم يجاهد النبي في أول الأمر؟

• لماذا لم يأمر بتصفية صناديد قريظ فيذهاب الطواغيت يفسح المجال للدعوة وينتشر الاسلام؟

• لماذا يُعرَضُ الملك والجاه والتستاء على النبي ﷺ فيرفض ذلك كله ويؤكد أنه ما جاء الا لهذا الأمر ليدعو الناس الى عبادة الله وحده فإما أن يظهره الله أو أن يهلك دونه؟

• ولما قال له الصحابة «ألا تستنصر لنا» قال لهم «ولكنكم تستعجلون» فإذا كان من بين الصحابة متعجلون فوجود متعجلين بين المسلمين من باب أولى.

وقد ذهب النبي ﷺ الى الطائف لتبليغ الدين وسألم قريشا عشر سنوات وكانت شروطهم لا تبدو لصالح المسلمين وذلك لتنتشر الدعوة ويسمعوها العرب ولا تشغلهم حروب قريش عن معرفتها. لقد أراد الله من الهجرة أن يعطينا درسين عظيمين:

أن الله أرسل رسوله في أفضل أرض وبين أجهل قوم ليعلمنا أن قيام هذا الدين ممكن بالرغم من كل الظروف الصعبة إذا صحت التوايا وصدقت الغرائم وأخلصت القلوب.

يجب أن نسير على سنن الجهاد فلا نتوقع المعجزات بل نذكر قول نبينا حين عرض عليه ملك الجبال أن يطبق الجبلين على قريش فكان جوابه «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» مما يعلمنا أنه إن كان ثم مصلحة في قتل الكفار فالمصلحة في دخولهم الاسلام وإقائهم من النار أعظم.

متى نصر الله

• عندما يتحقق مجتمع يسير على نهج السلف الأوائل في الطاعة والخضوع والامتثال ويصير المنادي بتحكيم الشريعة ممثلاً هو لها قبل ذلك.

• عندما يزيد إخلاصنا للآخرة على إخلاص الكفار لدنياهم، فإن المشكلة حين يكونون أكثر إخلاصاً لدنياهم من إخلاصنا لديننا.

• عندما نعلم أن الإعداد شرط والتمكين والنصر وعد. بخلاف ما تزعمه بعض الحركات الإسلامية التي عكست هذه القاعدة فكان ما كان. حيث اقتصرنا على تذكير المسلمين بما يعده الكفار من قوة ومؤامرة ضدنا وتناست مخالفة الخلف لسلفهم في كثير من الأمور.

• عندما نكون كنساء الانصار اللاتي سارعن الى شق مروطنهن والتحجب بها ساعة نزول آية الحجاب.

• عندما نكون ككعب بن مالك الذي أغراه ملك غسان بعروض الدنيا وقد ضاقت به الأرض وقاطعه المسلمون فأحرق رسالته وقال: وهذا أيضا من البلاء.

• عندما تقوم أخوة الايمان والمناصرة، مثلما فعل الانصار حين قسموا بيوتهم وأموالهم وأزواجهم مناصفة بينهم وبين المهاجرين.

عندما يرضخ المجتمع لأمر الله تعالى فاذا جاء الأمر من الخليفة: أهرقوا الخمر فيلتزمون ذلك من المرة الأولى. ويهريقوا الدم من غير رقابة من شرطة ولا غيرها.

خبر الأحاد

لقد كثر جدل حزب التحرير حول خبر الواحد وصار عقيدة يوالون ويعادون عليها وإن كانوا في الحقيقة لا يخرجون في موقفهم منه عن مبدأ المذهب الأشعري أو الماتريدي، غير أن كثرة حديثهم عن خبر الواحد قارب كلامهم حول الخلاف من حيث الاهتمام وظهروا بحديثهم عنه بمظهر أهل الخبرة والعناية بحديث رسول الله ﷺ. ولكن السبب الحقيقي في تشدد الحزب في خبر الواحد إنما هو نابع من تشدد النبهاتي نفسه تبعاً لمذهبه الحنفي الماتريدي.

ولقد سبقهم إلى هذا القول أئمة المنطق وعلم الكلام كالرازي والجويني والغزالي مما يجعلنا نرجح أن يكون الاختلاف الحقيقي معهم ليس حول خبر الواحد وإنما خلاف حول المذهب الأشعري نفسه، فالمسألة مسألة مذهب أشعري ماتريدي وليست فقط خبر واحد، وحينئذ فالأولى أن تبدأ مع هاتين الفرقتين من مسائل أخرى قبل خبر الواحد:

أين هي الفرقة الناجية التي تحدث عنها النبي ﷺ في نظر حزب التحرير؟ هل هي المذهب الأشعري والماتريدي؟ ما هي عقيدتكم؟ هل تتبنون التأويل الذي رجع عنه الأشعري والجويني والرازي والغزالي وغيرهم من أئمة الأشاعرة أم تتمسكون بالتفويض الذي انتهوا إليه؟

موقف الأئمة من المذهب الأشعري

إننا على خلاف مع أناس حول خبر الأحاد ليسوا بتحريريين بل ضد حزب التحرير وهم مع ذلك يوافقون الحزب في موقفه من خبر الأحاد لأنهم متفقون على الاستثناء من المصدر الأشعري الماتريدي.

وقد تقدم أن المصدر الذي يستقي منه الحزب عقيدته هو المذهب الماتريدي كما يدل عليه جملة كتاباتهم وأنهم أكثر ما يحتجون بأئمة ماتريدية في العقائد كالنسفي وغيره.

وقد ذم ابن الجوزي وابن حزم وأبو نصر السجزي وعبد القادر الجيلاني وابن خويزمنداد من المالكية: المذهب الأشعري بل بلغ الأمر بابن حزم إلى التصريح بكفر هذا المذهب والتشنيع عليه كما في الملل والنحل^١. وصرح العز بن عبد السلام وابن حجر الهيتمي باختلاف الأشعرية فيما بينهم في كثير من الصفات ونص الأخير على أن صفات الأفعال حادثة عند الأشاعرة أزلية عند الماتريدية^٢.

وانتهى الغزالي والجويني والرازي الرجوع عن تأويلات الأشاعرة. فاختلفهم دليل على أن طريقهم لا تمثل السنة لأن أحمد والشافعي ومالك لم يختلفوا في شيء من صفات الله بالرغم من اختلافهم في الفقه.

ومعرفة هذه المسألة أهم من تعلم تفاصيل الخلافة فقد يموت المرء على واحدة من فرق الضلال قبل أن تقوم الخلافة فعلى أي عقيدة يموت؟

١ - أنظر جامع بيان العلم وفضله ٩٦/٢ وصون المنطق والكلام ١٣٧ وصيد الخاطر لابن الجوزي ١٨٣ والغنية لطالبي الحق للجيلاني ٥٤-٦٠ والفصل في الملل والنحل لابن حزم ١١٢/٥.

٢ - قواعد الأحكام ١٧٠-١٧٢ الاعلام بقواطع الاسلام ٢٤ الزواجر ٣٥٠/٢ فتح المبين بشرح الأربعين ٧٨ فتح الباري ٤٣٩/١٣.

الحجة على حزب التحرير من كلامه

وقد أدلى التبهاتي باعتراف مهم يتعارض مع موقف الحزب من خبر الأحاد، فقال « النبي ﷺ بعث في وقت واحد اثني عشر رسولا إلى اثني عشر ملكا يدعوهم إلى الإسلام، وكان كل رسول واحدا في الجهة التي أرسل إليها، كما أرسل معاذًا إلى اليمن، فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد لما اكتفى الرسول بإرسال واحد للتبليغ ولكان أرسل جماعات»^١.

ونحن نشكره على هذا الاعتراف، فقد شهد أن رسول الله أرسل معاذًا إلى اليمن، ونذكره بوصية النبي ﷺ معاذ « اتك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه لا اله الا الله »

مما يدل على أن مذهب رسول الله على خلاف مذهب التحرير، حيث كان يرسل النبي ﷺ أحاداً لتبليغ عقيدة لا اله الا الله ووجوب الإيمان بهذا النبي الخاتم، فإنه عليه الصلاة والسلام بعث في وقت واحد اثني عشر رسولا إلى اثني عشر ملكاً يدعوهم إلى الإسلام وكان كل رسول وحده في الجهة التي أرسل إليها. فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد لما اكتفى الرسول بإرسال واحد للتبليغ: فكان هذا دليلاً صريحاً على أن خبر الواحد حجة في التبليغ.

وهذه حجة قاطعة من أفواه المجادلين عن خبر الواحد تقوم عليهم من كلام مؤسس الحزب. وكان ينبغي أن يكتفوا بهذه الحجة ويتراجعوا عن خطأ تعصبوا له منذ عقود طويلة ولا يزالون يبحثون له عن الأدلة دون جدوى. ولا ينتزهوا عن الشيء الذي عمل به رسول الله ﷺ.

^١ - ميثاق الأمة ص ٩ منشورات الحزب. الشخصية الإسلامية ٧٨/٣.

الحزب لا يحكم بما أنزل الله

إن تحريم الأخذ بخبر الواحد من دون دليل من كتاب الله ولا سنة رسوله: إنما هو حكم بما أنزل الله يحكم به حزب التحرير الذي يطالب الحكم أن يحكموا بما أنزل الله. ونحن نطالب من ينادون بتحكيم الشريعة أن يحكموا هم بدورهم شرع الله: فإذا شهدوا أن رسول الله أرسل واحدا يحمل خبر عقيدة إلى أهل اليمن استسلموا وخضعوا وقالوا سمعنا وأطعنا لا سمعنا وعصينا وجادلنا وتعصبنا!!

كل هذا لتعلم أن الله عليم حكيم يعلم عدم أهليتنا إلى الآن للقيادة لافتقارنا إلى مزيد من الخضوع والاستسلام لأمر الله وطاعة رسوله، فأتنا مطالبون بالخضوع للنصوص وعدم المراوغة وتسليط قواعد الحزب ومبادئه على نصوص الكتاب والسنة، والإكاثرة عقوبة ذلك حرماننا من إمام يحكم الشريعة ويعدل بين الرعية.

ولو علم الله أن خبر الواحد لا تقوم به حجة لأوحى إلى نبيه أن يرسل إلى الملك الواحد جماعة متواترة من الصحابة لا واحدا فقط. ولو أن الحجة لا تقوم بخبر الواحد لما أرسل ﷺ واحدا ولقال الناس لمعاذ: أنت خبر واحد لا نقبل منك أمور العقائد فارجع إلى نبيك وقل له يرسل جماعة يحصل بهم التواتر لتعليمنا أمور العقيدة. وهذه حجة دامغة.

قال الحافظ «واحتج بعض الأئمة بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلِّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ مع أنه كان رسولا إلى الناس كافة ويجب عليه تبليغهم، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة لتعذر خطاب جميع الناس شفاها، وكذا تعذر إرسال عدد التواتر إليهم وهو مستلزم جيد»^١.

١ - فتح الباري ١٢/٢٣٥.

ولما واجه حزب التحرير هذه الحجة زعم في الدوسية (ص ٥) أن «رفض الخبر بالاسلام لا يعتبر كفرا ولكن رفض الاسلام الذي قام عليه الدليل اليقيني هو الذي يعتبر كفرا».

ويا لها من سفسطة! فان من يرفض الاسلام إنما يرفضه بعد بلوغ خبر الاسلام اليه، وفيها بشرى لليهود والنصارى أنهم ليسوا كفارا لأنهم سمعوا الخبر بالاسلام فرفضوا الخبر به فقط.

ومما يبطل هذه السفسطة أن النبي ﷺ أرسل واحداً الى هرقل وقد جاء في رسالته اليه «فان توليت فاتما عليك اثم الأريسيين». أي إن أعرضت ولم تقبل ما أرسلت لك خبره فعليك اثم رعيته وعامتك، والأريسي هو انقلاص أو العامل.

ولو كان هرقل تحريرياً لرد رسول النبي وأمره أن يعود اليه برسول متواترين حتى يصدق ما أرسلهم به!

فهذا رفض الخبر بالإسلام ابتداءً وإلا كيف تقام الحجة على المخالفين الذين يرفضون الخبر بالإسلام إذا كان المراد بقيام الحجة عليهم الدليل القطعي وإن إرسال الرسل تترى لا يفيد ذلك فإن الذي يرفض الخبر بالإسلام لا يمكن أن تقام عليه الحجة أبداً لأنه أغلق باب البحث والنظر والاستدلال. فهذه السفسطة باطلة نقلاً وعقلاً.

وكذلك أرسل الى كسرى خبر آحاد يدعوهم الى الاسلام فعن ابن عباس أن رسول الله بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه الى أمير البحرين، فدفعه عظيم البحرين الى كسرى، فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال «لما دعا عليهم رسول الله أن

يمزقوا كل ممزق»^١. فلو لم يكن رفض الخبر بالإسلام كقراً لما دعا عليه النبي.

ولو كان كسرى تحريراً لقال للرسول عد الى نبيك ومره أن يرسل الي أعدادا متواترة ليحصل بهم اليقين والا فخير خبر واحد ولا يحصل بك علم وحينئذ أصدقك.

وقد كان النبي ﷺ يقطع بصدق أصحابه كما قطع بصدق تميم الداري لما أخبره بقصة الدجال وروى ذلك على المنبر ولم يقل أخبرني جبريل عن الله بل قال (حدثني تميم الداري) ومن له أدنى معرفة بالسنة يرى هذا كثيراً فيما يجزم بصدق أصحابه ويرتب على أخبارهم مقتضاها من المحاربة والمسالمة والقتل والقتال.

١ - أخرجه البخاري ١٥٤/١ و١٠٨/٦ و١٢٦/٨ و٢٤١/١٣ الفتح، خلق أفعال العباد من ٩٨ والنسائي وأحمد ٢٤٣/١ و٣٠٥.

أصل شبهة رفض خبر الواحد وسببها

أن الله استعمل كلمة (ظن) على معنيين متضادين. وهذا ما لم يفهمه هؤلاء حيث قصروا معنى (الظن) على معنى واحد وهو الخرص والشك. فخالقوا الاستعمال القرآني لكلمة (ظن).
 فقد ذكر الله الظن في مواطن الاعتقاد ومدحه. قال تعالى ﴿إني ظننت أني ملق حسابية فهو في عيشة راضية﴾ [الحاقة ٢٠-٢١] وقال ﴿وظنوا أن لا منجأ من الله إلا إليه﴾ [التوبة ١١٨] وقال ﴿الذين يظنون أنهم ملقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ [البقرة ٤٦] وقال ﴿قال الذين يظنون أنهم ملقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾ [البقرة ٢٤٩].

فما هو الظن الذي يذم الله المشركين على اتباعه ويمدح المؤمنين على فعله أهو هو؟ إذن فلا بد من تحقيق معنى كلمة الظن. التحقيق في ذلك أن الظن:

إذا كان مرجوحاً كان وهماً وتخرصاً وتخميناً وهو لا مكان له في الشريعة. وإذا كان راجحاً كان علماً ويقيناً، وعلى ذلك يحمل قول أهل اللغة «الظن شك ويقين»^١ قال الأبياري في كتاب «الأضداد» أن كلمة الظن من الأضداد.

علم من ذلك أن الظن الممدوح في الآيات الأخرى هو الظن الراجح الذي يفيد العلم واليقين. وهو غير الظن الذي حذر منه ﷺ قائلًا «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (متفق عليه) المنافي للجزم كما قال تعالى ﴿ما لهم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا﴾.

فالظن الراجح خرج عند أهل فن الحديث عن الخرص إلى اليقين لأنهم تفحصوا سند الرواية فلما استوفى عندهم شروط الصحة صار صار الشك بالرواية هو المرجوح واليقين فيها هو الراجح. وهو ما يراى عند أهل

العلم الذين وصفوه بأنه ظني ولم يعهد عنهم النهي عن الأخذ به في شيء دون شيء. بل أنكروا على المعتزلة الطعن به.

فالظن الذي تفيده أحاديث الآحاد الصحيحة السند هو اليقين إذ أن دلائل الحق في خبر الواحد العدل أكثر وأوفر لأن المنكرين أنفسهم اختاروا حجية خبر الواحد في الأحكام الشرعية. فثبت أنهم يقولون بأن الظن الذي يفيد خبر الواحد هو الراجح لا المرجوح لأن الظن المرجوح لا يجوز الأخذ به في العقائد والأحكام اتفاقاً. وبهذا فقد قرروا أن أحاديث الآحاد تفيد العلم من حيث لا يشعرون.

فإن أبوا لزهم القول بعدم حجية أحاديث الآحاد في الأحكام أيضاً وإلا وقعوا مرة أخرى في التناقض، فقد كان الخوارج والمعتزلة منطقيين مع أنفسهم عندما جعلوا الآيات الناهية عن الظن ناهية عن الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد والأحكام.

● الدليل الثاني: أن الله أجاز خبر الواحد الثقة فقال ﴿قلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾. قال ابن الأثير «الطائفة الجماعة من الناس وتقع على الواحد»^١.

وقال البخاري «ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية».

وقال ابن حجر «إن لفظ الجماعة يتناول الواحد فما فوقه ولا يختص بعدد معين وهو منقول عن ابن عباس وغيره كالنخعي ومجاهد»^٢. وكذلك قوله تعالى ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾.

١ - انظر أيضاً لسان العرب ٢٢٦/٩.

٢ - الفتح ٢٣١/١٣ و٢٣٤/١٣.

● الدليل الثالث: أن الله قد أمر بطاعته ورسوله فقال ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ وقال ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وعلى المسلمين أن يقولوا سمعنا وأطعنا. والسمع والطاعة واجبان في كل ما ثبت عن الله ورسوله ﷺ من غير تفريق بين العقائد والأحكام.

وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول﴾ [النساء ٥٩].
فإنه أنزل الكتاب والحكمة لرفع الخلاف وليحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون.

فلا يجوز أن يقول سمعنا في الأحكام دون العقائد فيما ورد النينا بطريق الأحاد، وأمر الله برد ما يحصل فيه النزاع إليه وإلى رسوله في قوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾

وعقوبة رد أمر الله الفتنة: قال تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ قال أحمد: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك. لعله أن يرد شيئاً مما أمر الله به ورسوله فيصيب قلبه الزيف فيهلك.

● الدليل الرابع: أن الله جعل إجماع المؤمنين حجة فقال ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ومآت مصيراً﴾ [النساء ١١٥]. وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول﴾ [النساء ٥٩]. فإنه أنزل الكتاب والحكمة لرفع الخلاف وليحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون.

قال الشافعي في (الرسالة ص ٥٧): «ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتفاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبتته

فقد جاز لي، ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد.

قال السفاريني « يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين، وحكى الحافظ ابن عبد البر الإجماع إلى ذلك ».

وقد قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ [البقرة ١٤٣].. قال ابن حجر في الفتح (٣١٦/١٣) « والآية التي ترجم بها - أي البخاري - احتج بها أهل الأصول لكون الإجماع حجة لأنهم عدلوا بقوله تعالى ﴿أمة وسطا﴾ أي عدولا ومقتضى ذلك أنهم عصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه قولاً وفعلًا ».

وقال الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه ٩٧/١) « إنما دفع خبر الآحاد بعض أهل الكلام لعجزه عن علم السنن وهذا عندنا ذريعة لإبطال سنن المصطفى ﷺ... فقد خدعوا عقول العامة واسترهبوهم بدعوى الإجماع ومرادهم إبطال السنن ».

وليحذر من حكايات الإجماع التي يختلقها المبتدعة فاتهم يدعون إجماعات لا أصل لها قال ابن قيم « وعادة أهل الكلام يحكون الإجماع فيما لم يقله أحد من أئمة المسلمين بل أئمة الإسلام على خلافه »^١.

قال محمد بن الحسن وغيره رحمهم الله « هذه الأحاديث - يعني أحاديث صفات الله تعالى - فنحن نروونها ونؤمن بها »^٢.

ولم يشترط لرواية الثقة في العقيدة أن تأتي متواترة. ولا فرق في المسألة بين متواتر وأحاد بل صرح بالأخذ بما رواه الثقة رواية مطلقة من غير تفريق بين متواتر وأحكام:

١ - مختصر الصواعق المرسله ٤١٣/٢.

٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة للذكاوي ٤٣٣/٣.

ثم إن السهو والنسيان جائز على الأنبياء وعلى نبينا ﷺ كما هو ثابت، فهل يقبل عاقل أن يرد خبر واحد بهم مثل هذه الحجة؟

وقد اعترف التحريرون أن هذا من أقوى الأدلة على إفادة خبر الواحد العلم.^١ ومع اعترافهم بقوة فقد اجتنبوه. وهم يروون عن الأئمة ومشايخ المذاهب مسائل كثيرة في الفقه والعقائد ولم يتمهلوا قبل ذلك ويسألوا أنفسهم: هل ما بلغني عن امام مذهبي متواتر أم آحاد؟

١ - أنظر كتاب (الاستدلال بالظني في العقيدة ص ٨٠) مع أن التحريرين لا يسلمون بأن كلمة الذكر تشمل السنة كما ذكره صاحب الكتاب المذكور ص (٦١) حيث زعم أن «الذكر تعني القرآن فقط وليس السنة».

الاجماع على الاخذ بخبر الواحد الثقة

قال الشافعي « لم أحفظ عن علماء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد »^١.

قال ابن حجر « الخبر المحدث بالقرائن قد يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك.. وهو أنواع: منها ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ التواتر فاته احتف به قرائن، منها: جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القصصرة على التواتر » قال « فالاجماع حاصل على تسليم صحته »^٢ « وقد شاع فاشيا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير تكثير، فافتضى الاتفاق منهم على القبول »^٣.

وقال ابن الصلاح في مقدمته « وما اتفق عليه البخاري ومسلم جميعه مقطوع به، والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد في أصله الا الظن، وانما تلقته الأمة بالقبول ... وما انفرد به البخاري ومسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول »^٤.

وحكى ابن الصلاح أنه كان أول الأمر يميل الى رد خبر الواحد في العقائد قال « ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولا هو الصحيح ».

١ - الرسالة ص ٤٥٧.

٢ - شرح النخبة (ص ٦) وانظر تدريب الراوي للسيوطي ١/١٣٣.

٣ - فتح الباري ١٣/٢٣٤.

٤ - التقييد والايضاح ٤١ علوم الحديث ص ٢٥ تدريب الراوي ١/١٣١.

قال السخاوي « فقد سبقه [أي ابن الصلاح] الى القول بذلك في الخير المتلقى بالقبول الجمهور من المحدثين والأصوليين وعامة السلف»^١.

حجية خبر الأحاد عند الشافعي

قال عمر بكري « عندي لاحقة باسماء مئة وثلاثة وثلاثين عالماً كلهم قالوا ان حديث الأحاد ظني ولا يؤخذ به في العقائد. وإذا نقبت عن هؤلاء العلماء وجدتهم بين أشعري وماتريدي التزموا بهذا القول تبعاً لمذهبهم.

ونحن عندنا عالم واحد وهو الشافعي من علماء الأمة المشهورين يغلب ألفاً من أمثال من ذكرت أسماءهم.

فقد كتب الشافعي ما يزيد على مائة صفحة^٢ في أعظم كتاب في أصول الفقه اسمه (الرسالة) أثبت به حجية خبر الواحد وبويه بالعنوان التالي (باب: حجية خبر الواحد) أكد فيه أن « أهل السنة قد تلقوا خبر الواحد العدل بالقبول». وقال « لم أحفظ عن علماء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد»^٣.

وكذلك دافع عن حديث الأحاد في كتابه « اختلاف الحديث»^٤ وفي كتابه «الأم»^٥ بوثب بعنوان «باب حكاية قول من رد خبر الخاصة» ومراده بخبر الخاصة خبر الأحاد.

١ - قواعد التحديث ٨٥ فتح المغيث ٥١/١.

٢ - الرسالة من صفحة ٣٦٩ الى ٤٧١.

٣ - الرسالة من صفحة ٤٥٣ الى ٤٥٧ سير اعلام النبلاء ٢٤/١٠.

٤ - مطبوع على حاشية كتاب الأم ٢٨-٢/٧.

٥ - الام ٢٥٤/٧-٢٦٢ باب حكاية قول من رد خبر الخاصة.

فهذه ثلاثة كتب للشافعي ذكر فيها كل ما يحتاج بيانه حول خبر الواحد لم يقل في شيء منها أن خبر الواحد مقبول في الأحكام مردود في العقائد. ومن خصص فعليه الدليل والا كان محرفاً لقول الأئمة. والمحرفون لن يقيموا الخلافة الراشدة على منهاج النبوة!

نحن عندنا دليل واضح من الشافعي في تثبيت خبر الواحد فقد قال (باب تثبيت خبر الواحد) وهذا لفظ صريح فأين حجتكم التي يجب أن تكون بمثل وضوح كلام الشافعي هكذا (باب تثبيت خبر الواحد في الأحكام دون العقائد)؟

ولا يعقل أن يكتب في هذه الصفحات كل ما يحتاج معرفته عن خبر الواحد ولا يأتي بعبارة صريحة يفرق فيها العقائد والأحكام.

فانه لما أثبت الشافعي خبر الواحد أثبته عموماً لم يخصه في شيء دون شيء. ولم يقل الأخذ به حرام حلال: حرام في العقائد حلال في الأحكام كما يذهب اليه المتناقضون!

فأول من طعن في خبر الواحد هم الجهمية والمعتزلة. وأول من دافع عنه وأثبت حجتيه هو الشافعي. قال شارح الإحياء الزبيدي «الجمهور على أنه لا يشترط في الصحيح عدد فيحكم بصحة خبر الواحد إذا كان عدلاً ضابطاً، وذهب المعتزلة إلى اشتراط العدد.. وقد بعث رسول الله ﷺ رسلاً واحداً واحداً إلى الملوك ووفد عليه الأحصاء من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم وكانت الحجة قائمة بأخبارهم عنه مع عدم اشتراط التعدد... وقد استدلل الشافعي وغيره على قبول خبر الواحد بحديث ابن عمر في استدارتهم إلى الكعبة... واستدل له السيوطي بالآية (إن جاءكم فاسق فنبهوه) ومفهومه أنه لا يجب التثبت عند أخبار العدل وذلك صادق بالواحد»^١.

١ - أحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٦/٧٢-٧٣.

مناقشة الشافعي مع نفاة خبر الواحد

وحكى الحافظ ابن عساكر أن الشافعي كان يناظر ابراهيم بن عليّة في خبر الواحد. فقال له: ألسنت تزعم أن الحجة في إنكار خبر الواحد هي الإجماع؟ فقال له الشافعي: أخبرني عن خبر الواحد العدل: أياجماع دفعته أم بغير إجماع؟ فأنقطع ابراهيم ولم يستطع الإجابة^١.

وبمثل ذلك نسأل من يحرمون رواية الآحاد: أياجماع حرّموه في العقائد: أوجبتموه في الأحكام؟

فلو كان الشافعي ينفي حجية خبر الواحد في العقائد لاستطاع ابن عليّة أن يحتج عليه بأن يقول: وأنت هل دفعته في العقائد دون الأحكام بنص من كتاب أو من سنة أو بإجماع من صحابة؟

أما أبو حنيفة فثد قال « وخبر المعراج حق فمن رده فهو ضال مبتدع »^٢. مع أن خبر المعراج خبر واحد وموضوعه عقيدة، ولو كان خبر الواحد ممنوعاً في العقائد لما ضلل أبو حنيفة راد خبر المعراج.

١ - تبين كذب المفترى ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

٢ - الفقه الأكبر ٩٢ .

اجماع العلماء على كفاءة الصحيحين

ولا ننسى أن غالب أحاديث الصحيحين من نوع خبر الواحد، ومعلوم أن الأمة قد تلقت هذين الكتابين بالقبول والتسليم. وهي لا تجتمع على ضلالة. فإجماعها حجة على من زعم رد خبر الأحاد.

وقد أدى موقف هؤلاء إلى الطعن في أكثر أحاديث الشيخين اللذين اتفقت الأمة على صحتها وتلقاها بالقبول. وأثاروا الشك في أوثق مصدرين لهذه الأمة بعد كتاب الله.

نقل السيوطي في التدريب عن الحافظ السجزي إجماع الفقهاء أن من حلف على صحة ما في البخاري لم يحنث. ونقل عن إمام الحرمين أنه قال: لو حلف بطلاق زوجته أن ما في الصحيحين من كلام النبي ﷺ لما ألزمته بالطلاق.

ولقد صدر البخاري ومسلم كتابيهما بحديث آحاد «إنما الأعمال بالنيات»^١ وهذا الحديث يتضمن مواضع في العقائد. وكفى بها دعوى واكتساء ثوب الزور أن يدعي أهل الكلام أنهم أحرص على العقيدة وأدق في فن الرواية وأورع في الدين من الشيخين.

قال ابن تيمية "ان مما اجمعت الأمة على صحته : أحاديث البخاري ومسلم"^٢. مع أن غالب ما فيهما من خبر الواحد حتى قال بعض العلماء

١ - قد قالوا عن هذا الحديث: أصله آحاد لكنه من جهة الصحابي الثقة نقله عنه صحابة آخرون فصار مقواتراً. ولكن لو اتفقت الأمة على رאותه ضابط فهل يتراجع الحزب عن موقفه من خبر الواحد ويصير عنده بعض خبر الواحد الثقة مفيداً للعلم أم أنهم لا يتراجعون؟

٢ - مجموع الفتاوى ١٨ : ١٦

لا يوجد خبر متواتر الا أربعة أحاديث بل قال ابن الصلاح أنه لا يوجد متواتر الا حديث « من كذب علي متعمدا ». وهنا يبرز سؤال مهم: إذا كان سند خبر الواحد غير قطعي الثبوت فلماذا جعل الله أكثر روايات السنة من هذا النوع؟ لا أعتقد أن هؤلاء يستطيعون الإجابة عن ذلك؟

قال ابن الصلاح في مقدمته " وما اتفق عليه البخاري ومسلم جميعه مقطوع به، والعلم اليقين النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد في أصله الا الظن، وإنما تلقت الأمة بالقبول ... وما انفرد به البخاري ومسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول »^١.

وذهب الى ذلك الكوثري واحتج في ذلك بما قاله أبو المظفر السمعاتي في القواطع^٢ أن خبر الواحد الذي تلقتة الأمة بالقبول يقطع بصدقه، ونقل عن السخاوي في فتح المغيث أن هذا القول قول جماعة من أهل العلم أن ما اتفق عليه البخاري ومسلم يفيد العلم لاحتماله بالقرائن^٣.

ونقل أبو إسحاق اسماعيل بن محمد الاسفراييني الملقب بركن الدين إجماع أهل الحديث على قبول الصحيحين فقال ما نصه:

« أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بها عن صاحب الشرع^٤ وكذا قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي وابن الصلاح ومنهم الامام عمر بن رسلان البلقيني والدكتور خليل ملا خاطر^٥ ومنهم أبو

١ - التقييد والايضاح ص ٤١ علوم الحديث ص ٢٥ تدريب الراوي ١٣١.

٢ - أثنى السبكي على كتابه هذا (طبقات الشافعية ٣٤٣/٥ محققة).

٣ - نظرة عابرة ١٠٩ وانظر قوله هذا في مقالات الكوثري ١٣٥

٤ - النكت على ابن الصلاح ٣٧٧/١ نزهة النظر ٢٧ شروط الأئمة الستة ٢١.

٥ - مكانة الصحيحين ١٣٥-١٣٩.

بكر السرخسي كما في فيض الباري ^١ والسخاوي ^٢ والسيوطي القائل « وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه » ^٣ والعلامة محمد السندي الحنفي.

ومنهم شاذ ولي الله الدهلوي القائل « أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع وأنهما متواتران الى مصنفيهما، وأنه كل من يهون من أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين » ^٤.

وقال محمد أنور الكشميري الديوبندي « خبر الصحيحين يفيد القطع: فإن قيل ان فيهما آحاداً. قلت: لا ضير فإن هذا باعتبار الأصل وذلك بعد احتفاف القرائن واعتضاد الطرق. فلا يحصل القطع الا لأصحاب الفن الذين يسر الله لهما سبحانه التمييز ورزقهم علماً من أحوال الرواة والجرح والتعديل فانهم اذا مروا على حديث وتبعوا طريقه وفتشوا رجاله وعلموا حال اسناده يحصل لهم القطع، وان لم يحصل لهم لم يكن له بصر ولا بصيرة » ^٥.

ومن نظر في كتب المحدثين علم يقيناً أن مذهبهم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد فقد ملأوا كتبهم في العقائد من خير الواحد واحتجوا بها في إثبات العقائد وأولهم البخاري أمير المؤمنين وأعظمهم حيطة في الحديث وإبتعاداً عن الحديث المشكل.

ومخالفهم: موافق للمعتزلة أو موافق لنصف قول المعتزلة مخالف لفعل النبي وإجماع الصحابة والتابعين والأئمة المعترين.

١ - المقدمة ٤٥/١.

٢ - فتح المغيب ٥١/١.

٣ - تدريب الراوي ١٣٣/١.

٤ - حجة الله البالغة ١٣٤/١.

٥ - مقدمة فيض الباري ٤٥/١.

أهل الحديث يميلون مع فتوى ابن الصلاح

وذكر ابن الصلاح أنه كان يميل إلى رد خبر الواحد في العقائد قال «ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولاً هو الصحيح».

وتعقب النووي ابن الصلاح قائلاً «وخالفه المحققون الأكثرون فقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر» ووافقه ابن عبد السلام^١.

غير أن كثيرين ممن جاؤوا بعد النووي أيدوا ابن الصلاح منهم الحافظ ابن كثير وسراج الدين البلقيني وابن حجر^٢ وأبو إسحاق الشيرازي (إمام الشافعية) الذي قال «خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول، فيقطع بصدقه سواء عمل الكل به أو عمل البعض... فهذه الأخبار توجب العمل ويقع العلم بها استدلالاً»^٣. حتى قال البلقيني «وما قاله ابن عبد السلام والنووي ومن تبعهما ممنوع فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين [وساق أسماءهم] أنهم يقطعون بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول»^٤. وهو قول ابن تيمية كما نقله الفتوحى في الكوكب المنير عنه^٥.

١ - التأكيد والإيضاح ٤١.

٢ - الباعث الحديث لابن كثير ص ٣٣ ومحاسن الاصطلاح للبلقيني ص ١٠١ والنكت على ابن الصلاح ١٧٣/١ قزحة النظر ٣٩.

٣ - اللع ٢١٠ وشرحه ٥٧٩/٢. وفرق بعضهم بين ما يفيد العلم قطعاً وما يفيد استدلالاً. وهذا تكلف يناقض قاعتهم التي ينسفون بها خبر الواحد «ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال».

٤ - محاسن الاصطلاح ١٠١ تدريب الراوي ١٣٣/١ للسيوطي.

٥ - النكت على ابن الصلاح ٣٧٤/١ شرح الكوكب المنير ٣٧٧/١.

ولهذا قال الحافظ ابن حجر « وكأنه عنى بهذا الشيخ تقي الدين ابن تيمية نقله عن بعض ثقات أصحابه » ثم رد ابن حجر على النووي من عدة وجوه.

فانظر كيف رد البلقيني كلام النووي وابن عبد السلام ورجح كلام ابن تيمية عليهما.

وقال الحافظ العراقي « وما ادعاه [ابن الصلاح] من أن ما أخرجه الشيخان مقطوع بصحته قد سبقه إليه الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن يوسف ، فقالا: انه مقطوع بصحته ».

وزاد السيوطي عليهم أبا حامد الاسفراييني والقاضي أبا الطيب والشيرازي والسرخسي والقاضي عبد الوهاب من المالكية وأبا يعلى وأبا الخطاب والزاغوني من الحنابلة وابن فورك وأكثر أهل الكلام من الأشعرية وأهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة بل بالغ ابن طاهر المقدسي فألحق به ما كان على شرطهما وإن لم يخرجاه^١.

• قال الحافظ السخاوي في فتح المغيث «وسبقه [ابن الصلاح] الى القول بذلك في الخبر المتلقى بالقبول الجمهور من المحدثين والأصوليين وعامة السلف بل وكذا غير واحد في الصحيحين»^٢.

قال الحافظ ابن كثير « وانا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد اليه »^٣ قال السيوطي «هو الذي أختاره ولا أعتقد سواه»^٤.

١ - تدريب الراوي ١/١٣٢

٢ - قواعد التحديث ص ٨٥.

٣ - مختصر علوم الحديث ٣٥.

٤ - تدريب الراوي ١/١٣٤.

موقف النووي من خبر الواحد

وبالرغم من تعقب النووي لابن الصلاح فقد قال « ولم تزل الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة فمن بعدهم من السلف والخلف على امتثال خبر الواحد »^١ وعلق على حديث الجناساة الطويل والذي رأى فيه الصحابة الدجال « وفيه قبول خبر الواحد »^٢.

وصدق النووي في أن عامة السلف على العمل بخبر الواحد. بل ومن غير تفريق. فهذا عبد الله بن عمر سأل أباه عمر عن رواية سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين فقال له عمر « إذا حدثك سعد شيئا عن النبي ﷺ فلا تسأل عنه غيره » (رواه البخاري رقم ٢٠٢) فلا يظهر أن عمر يفرق بين الأحاد في الفقه وبين الأحاد في العقائد!!!

ثم صرح النووي بأنه يعتقد ما تفيد أحاديث الأحاد المروية في صحيح مسلم فقال معلقاً على حديث ضمام بن ثعلبة المشتمل على أمور العقائد « وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد » وقال « وهذا عظيم الموقع وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم »^٣.

وذكر حديث « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي » ثم علق عليه قاتلاً « فاجتمع في هذا الحديث جمل من القوائد... ومنها ما اشتمل عليه في البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين »^٤.

١ - شرح صحيح مسلم ١/١٣٠.

٢ - انظر شرح النووي على مسلم ٨٠/١٨.

٣ - شرح مسلم ١/١٧١ و٢٢٧.

٤ - الإنكار ص ٣٦٨.

وقال الغزالي « تواتر واشتهر عمل الصحابة بخبر الواحد في وقائع شتى لا تنحصر وإن لم تتوافر آحادها فيحصل العلم بمجموعها »^١.

وقال السفاريني « يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين وحكي الامام ابن عبد البر الاجماع على ذلك »^٢.

قال الخطيب البغدادي « فمن أقوى الأدلة على ذلك ما ظهر واشتهر عن الصحابة من العمل بخبر الواحد.. وعلى خبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصارنا الى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن احد منهم انكار لذلك ولا اعتراض عليه »^٣.

وحتى الكوثري ألف كتابا بعنوان (نظرة عابرة) رد فيه على الذين ردوا خبر نزول عيسى بحجة أنه خبر واحد لا تثبت به عقيدة . وموضوع نزول المسيح آخر الزمان متعلق بالعقيدة.

١ - المستصلى ١٧٣.

٢ - لوامع الأنوار البهية ١٩/١ وانظر التمهيد لابن عبد البر ٨/١.

٣ - الكفاية ص ٣١.

خبر الواحد الثقة يفيد العلم والعمل

وقولهم أنه يفيد العمل ولا يفيد العلم قول متناقض. فإن العمل بالشيء فرع عن العلم به. وهم لما رأوا إطباق السنف والخلف على العمل بها علما وعملا لم يجدوا بدا من القول بأنها توجب العمل مما هو هدم لقواعدهم من الأساس.

قال ابن حجر في شرح النخبة (ص ٦) «الخبر المحتف بالقرائن قد يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك». وقوله (قد يفيد) مهم جداً ومعناه عدم إقادته العلم دائما بالضرورة. ولكن إذا ثبتت قرائن الصدق واستوفى شروط الصحة أقاد العلم.

وقال ابن حزم «قال أبو سليمان والكرابيسي والمحاسبي وغيرهم أن خبر الواحد عن العدل إلى مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معا وبهذا نقول... وإذا صح هذا فقد ثبت يقينا أن خبر العدل عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به موجب للعلم والعمل معا»^١.

وقال أبو المظفر السمعاتي الشافعي «إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الأئمة الثقات وأسندته خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا عامة قول أهل الحديث والمبشرين من القائميين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد

١ - الإحكام في أصول الأحكام ١١٩/١ - ١٢٤.

الأخبار»^١. وذكر مثله في كتاب القواطع الذي أثنى عليه السبكي في طبقاته (٣٤٣/٥).

وهذا القول ليس فقط قول ابن حزم كما يدندن حوله التحريريون ولكنه قول ابن حجر وابن الصلاح والسيوطي وابن كثير وجملة من الأئمة، وليس من العقل ترك أهل هذا الفن لحزب التحرير.

وإننا لنلاحظ تناقضا في قول النووي « ويفيد الظن ولا يفيد العلم » إذ كيف تقوم الحجة على العباد بالظن، اللهم أن يكون الظن عنده بمعنى الظن الراجح لا ظن الخرص والتخمين والقرينة تكون من كلام النووي في موضع آخر حيث علق على حديث الجساسة بأنه يفيد الأخذ بخبر الواحد^٢.

^١ - رسالة الانتصار لأهل الحديث اختصرها السيوطي في صون المنطق والكلام ص ١٦٠-١٦٧.

^٢ - شرح مسلم بشرح النووي ٨٠/١٨.

قاعدة أساسية حاسمة للمسألة

ثم إن كان إفادة الخبر الواحد للعلم مما اختلف أهل العلم فيه فإنهم لم يختلفوا في وجوب الأخذ به والعمل به مطلقاً إلا عند أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم..

وعلى الأقل إذا لم يوافقوا أهل السنة في إفادة خبر الواحد الثقة المستوفي لشروطه العلم فليوافقونا على إفادة الصحيحين للعلم فقد قال ابن الصلاح في مقدمته « وما اتفق عليه البخاري ومسلم جميعه مقطوع به، والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن، وإنما تلتفته الأمة بالقبول».

ولعلك تتسائل: ما لا يفيد عنما كيف يجوز أن يقوم به شرع من تحليل وتحريم وإباحة فروج وإباحة دماء؟ وأيضا فالحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم لا بما لا يعلم صدقه من كذبه.

ولو كانت رواية الآحاد غير مفيدة للعلم لما أبيح قتل المقر بالقتل على نفسه، ولا بشهادة اثنين عليه ولا بشهادة الأربع على الزاني ولا الشاهدان أو الشاهد والشاهدين في التبائع لأن الشهود ما زال خبرهم واحداً وإن كانوا أربع شهود.

وكفى بهذه التحديدات المنصوص عليها لقبول الخبر حجة على من يحددون تحديدات من عند أنفسهم ما أنزل الله عليهم بها بكتاب من عنده. ولكن علم الله أن رواية الواحد الثقة الثابت تقوم بها الحجة فلم يشترط للخبر في العقيدة عدداً مشروطاً من الرواة كما حدد للزنى والقتل والتبائع أرقاماً محددة. وإنما يجب أن يكون التحديد من عند الله حتى نأخذ به لا من عند حزب التحرير.

أهل الحديث هم أهل الاحتياط لا أهل الكلام

وقد زعموا أن العلماء احتاطوا في الاحتجاج بالأخبار الواردة في الصفات فاشتراط الأشاعرة القطعي الثبوت وهو المتواتر^١.

فمن هم أول المحتاطين؟ إنهم الجهمية والمعتزلة.

ولم يكن «العلماء» المحتاطون إلا ثلة من نفاة الصفات تذرعوا بالاحتياط ليتوصلوا به إلى نفي صفات الله التي وصف بها النبي ﷺ ربه والتي تتعارض مع قواعد علم الكلام. فقد ذكر الحافظ ابن حجر أن المعتزلة أنكروا صحة الأحاديث الواردة في الصفات كالنزول وغيره^٢.

وإنما كان الطعن في خبر الواحد قاسماً مشتركاً بين الفرق الضالة كالفلسفة والجهمية والمعتزلة التي وجدت أن أكثر أحاديث الصفات من الآحاد فأرادت أن توجد لنفسها مبرراً لردّها، فابتدعت القول بأن أحاديث الآحاد مردودة وأنها ليست حجة ولا يستدل بها.

هل هم أكثر احتياطاً من البخاري؟

قال ابن حجر «الذي يظهر من تصرف البخاري في كتاب التوحيد أنه يسوق الأحاديث التي وردت في الصفات المقدسة فيدخل كل حديث منها في باب، ويؤيده بآية من القرآن للإشارة إلى خروجها عن أخبار الآحاد على طريق التنزل في ترك الاحتجاج بها في الاعتقادات»^٣.

أي من باب التنزل معه لا موافقة له، فقد حشد البخاري كثيراً من أحاديث الآحاد في مسائل الصفات وغيرها من العقائد، وقد علمت أنه

^١ - التوحيد للماتريدي ص ٨.

^٢ - فتح الباري ٣/٣٠ وهذا الموقف هو نفس موقف الجويني.

^٣ - فتح الباري ١٣/٣٥٩.

ترك احتياطاً أحاديث صحيحة كثيرة ولم يختَر منها إلا ما استوفى أشد شروط الصحة ومنها أخبار آحاد كثيرة ذكر كثيراً منها في كتاب التوحيد ضمن صحيحة.

وإنما كان يؤيد الأحاديث بأية من القرآن حتى لا يبقى مجالاً للهاربين من الحق يزعمهم أن هذا الحق خبر واحد، فهو يدعمه بأية من القرآن. وهذا يؤكد أنهم كانوا يتهربون من أحاديث الصفات بهذه الذريعة.

ولقد شهد الحافظ بتناقض فكرتهم فقال « وقد تناقض من قال أنه لا يقبل الحكم الزائد على القرآن إلا أن كان متواتراً أو مشهوراً »^١.

وهؤلاء لا يمكنهم أن يقولوا: اشترط الشافعي اشترط أحمد لأنهم يعلمون أن الشافعي كتب مئة صفحة في كتابه « الرسالة » في تثبيت خبر الواحد العدل وحجيته وفي كتاب « اختلاف الحديث ». فكيف إذا علمت أن الشافعي ضلل من كانوا يدعون هذا الاحتياط؟

فالاعتبار قام بتثبيت الشافعي وغيره لخبر الواحد الثقة مطلقاً من غير تخصيص. ووقف الحافظ ابن حجر في الفتح موقف الشافعي نفسه. وقال أحمد لما سئل عن أحاديث الرؤية « أحاديث صحاح تؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة تؤمن به ونقر »^٢.

فأهل الحديث أولى بالحكم على خبر الواحد من أهل الكلام، ورأيهم في خبر الواحد هو الأولى بالأخذ من رأي فروع المعتزلة والجهمية.

والقيد الذي أفاده قول الشافعي « خبر الواحد العدل » يفيد بأنه ليس كل خبر واحد يقبل مطلقاً وإنما خبر الواحد الثقة العدل الضابط المتصل السند، هو المقبول دون غيره من الآحاد التي لم تستوف الشروط.

^١ - فتح الباري ٢٩٣/١٣ وانظر ٦٨٢/٦ و ٣٥٥/١٣.

^٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة للكتاني (٥٠٧/٣) رقم (٨٨٩).

سلطهم في الطعن بخبر الواحد

لقد كان أول المحتاطين إبراهيم بن اسماعيل بن عليّة أحد كبار الجهمية الذي كان معاصراً للشافعي، قال عنه الذهبي « جهمي هالك »^١ وقد ناظره الشافعي وأبطل حجته في إنكار خبر الواحد، ولما بلغه إصراره على إنكار خبر الواحد قال « إن ابن عليّة ضال، قد جلس بباب الضوال يضل الناس »^٢.

التأويل فن شر من خبر الواحد

وهو ظن مأخوذ به عندهم في العقائد. فليس الطاعنون في خبر الواحد من أتقياء هذه الأمة. إذ لو كان عندهم ورع لتورعوا عن التأويل الذي اعترفوا جميعاً بأنه محتمل ولا يمكن القطع أن يكون مراداً لله^٣.

فأيهما أكثر ظناً من الآخر: خبر الواحد أم تأويلات الأشاعرة التي اعترف أئمتهم أنها محتملة لا يمكن القطع أن تكون مرادة لله. فكان من باب أولى أن يتركوا التأويل، لكن الله جعل هذا من أعظم علامات تناقضهم وعدم صدقهم، ولو صدقوا لتركوا التأويل لأنه أكثر ظناً من خبر الواحد.

وليس هناك من دليل واحد على الأخذ بخبر الواحد في الأحكام دون العقائد. ولم يقل أحد من الأئمة لا الشافعي ولا أبو حنيفة ولا أحمد ولا مالك أن خبر الواحد يقبل في الأحكام ويرد في العقائد مع أن الشافعي أول وأبرز واضعي علم الأصول.

^١ - ميزان الاعتدال ٢٠/١

^٢ - مناقب الشافعي للبيهقي تحقيق صقر ٢١١/١ و ٢١٠/٢ تبين كذب المفتري ٣٤٠-٣٤١ سير الأعلام ٢٤/١٠.

^٣ - أنظر كتاب التوحيد للماتريدي ٧٤ الملل والنحل للشهرستاني ١٣٨/١ الاتقان للسيوطي ٢٢١/٢.

الاختصاص لأهل الحديث لا لأهل الكلام

ان الاعتبار في افادة اخبار الآحاد العلم: هم أهل الحديث دون من عداهم. فكما أن أهل الطب يرجعون الى الطبيب لا الى النجار فكذلك الرجوع في خبر الواحد الى أهل الحديث: فهم العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله وهم أدرى بحديثه من غيرهم.

فقد أفتوا أعمارهم في دراسة الحديث وحفظه فلا يقارن بهم من خاض في علم الكلام وأقنى عمره فيه واشتغل به عن علم الحديث. والبخاري أمير المؤمنين في علم الحديث ونجد عنده كتابا كاملا في صحيحه اسمه (كتاب أخبار الآحاد) أثبت فيه حجية خبر الواحد واحتج فيه بأخبار آحاد في العقائد ذكر منها بعث النبي ﷺ رسولا الى كسرى يدعو فيها الى الاسلام فمزق الرسالة فدعا عليه أن يمزقوا كل ممزق.

الحجة الدامغة

فهي رسالة في العقيدة موضوعها الدخول في الاسلام وقبول لا اله الا الله، يسلمها الى كسرى مخبر واحد، وقد حصل بها تبليغ الدين وقامت بها الحجة على كسرى. ولو لم تقم الحجة ما دعا عليه النبي ﷺ يتمزيق ملكه.

وقد ذكرها البخاري في كتاب التوحيد: باب تثبيت خبر الواحد واحتج بقصة كسرى وهي قصة تتعلق بالاعتقاد لا بالأحكام. وبمقتضى هذا الحديث يمكن التأكيد أن البخاري إنما أراد بهذا الفصل إثبات خبر الواحد الثقة في الدين كله: عقائد وأحكام.

يضاهون قول المجتعة من قبل

وبقي هذا الاجماع حتى أحدث الأشاعرة فتنة رد خبر الواحد في العقائد دون الأحكام وهو شطر قول المعتزلة. وهو ليس أول مضاماة للمعتزلة، فانهم أخذوا عنهم أكثر تأويلاتهم، وأشتروا منهم آلة علم الكلام. فهم ليسوا محدثين. قال تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ (النساء ١١٥).

والأشاعرة والمعتزلة ليسوا من المتميزين بالاشتغال بطلب الحديث وحفظه، ولهذا يرى المرء تناقضا واضحا بين تشديدهم في خبر الواحد وبين ما يجده في مصنفتهم من الروايات الواهية والضعيفة، فلم يقوا بما التزموه وألزموا الناس به.

لقد رأينا كثيرين ممن يمنعون خبر الواحد في العقائد عندما ينتقلون من موضوع الصفات الى مواضع أخرى كالتوسل والاستغاثة بالأموات

يحتجون بما هو أدنى من خبر الواحد، رأيناهم يحتجون بالضعيف بل وبالموضوع من الروايات.

ويتجاهل الحزب وهو حنفي المذهب وأكثر مصادره من كتب الحنفية وأئمتهم أن الأحناف يتناقضون كثيراً فاتهم يوجبون أحكاماً كثيرة بما هو أضعف من خبر الواحد بل بروايات شديدة الضعف بل ربما كان لا أصل لها كإيجابهم الموضوع من الرعاف والقيء والقهقهة في الصلاة.

وغاية أدلة التحريريين أن يحتجوا بأشاعة أو ماتريدية مثلهم كأن يقولوا: قال الأسنوي. قال الآمدي. قال السرخسي قال الرازي قال الجويني. وحينئذ إذا ثبت أنهم أشاعة ماتريدية فلا يليق بالسني الفطن أن يجادلهم في خبر الواحد وإنما يعلم الكلام الذي ذمه كافة الأئمة ولا يزال الأشاعة يستمسكون به ويستعصمون به حتى اليوم فهو ما زال عندهم العروة الوثقى.

أما أن يقولوا قال الله قال رسوله قال الشافعي قال أحمد قال مالك فلن يستطيعوا أن يحتجوا بواحد من هؤلاء، لأنه ما من أحد منهم اشترط هذا الشرط بل يقول خبر الواحد الثقة هو الثابت عنهم.

فائدة مهمة

وهؤلاء الماتريدية والأشاعة إذا جادلوك في مسائل التوسل والتبرك والزهديات والاستغاثة بغير الله يحتجون بأحاديث ضعيفة بل موضوعة، ولا يظهر عليهم التقيد بما اشترطوه. وأما هنا فاتهم يرفضون الأخذ بخبر الواحد في العقيدة وإن كان في مسلم والبخاري:

فمن أمير المؤمنين في الحديث: البخاري أم النبهاتي وحزبه؟

متى طرأت فكرة رد خبر الواحد في العقائد

وقد طالبنا عمر بكري وغيره أن يأتونا بعالم واحد معتبر من علماء الأمة قبل ظهور المذهب الأشعري اشترط للعقائد المتواتر فقط دون الآحاد فعجزوا ولم يستطيعوا أن يأتوا بعالم واحد.

حقيقة قولهم هو قول المعتزلة

فقد بدأت فكرة تحريم الأخذ بخبر الواحد في العقائد ووجوب الأخذ به في الأحكام عند المعتزلة قبل الأشاعرة، فقد قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «يجوز الأخذ بخبر الواحد إذا ورد بشروطه، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا»^١.

قال عبد القاهر البغدادي «وكان الخياطي (المعتزلي) منكر الحجة في أخبار الآحاد، وما أراد بابتكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد»^٢.

وهذا الذي قاله البغدادي يقال له ولأصحابه الأشاعرة الذين التزموا نصف قول المعتزلة فحرموا خبر الواحد في العقائد وأوجبوه في الأحكام.

فيقال له قولاً شبيهاً بقوله الذي خاطب به المعتزلة:

وما أردتم أيها الأشاعرة - عفا الله عنكم - بابتكاركم خبر الواحد في العقائد إلا إنكار أحاديث الصفات الإلهية لا سيما الفعلية منها، فإن أكثر مسائل الصفات الإلهية خاصة - ومسائل العقيدة عامة - مبنية على أخبار من أخبار الآحاد!!!

^١ - شرح الأصول الخمسة ٧٦٩.

^٢ - فرق بين الفرق ١٦٥.

لا قيمة لقوانين أهل الكلام والجدل

وأهل الكلام لا معرفة لهم بالسنن وهم جريئون عليها جرأتهم على القرآن. قال البغدادي « وأما دفع خبر الآحاد بعض أهل الكلام لعجزه عن علم السنن »^١ والبغدادي واحد من أهل الكلام.

فتوى أبي مظفر السمعاني^٢ حول خبر الواحد

ونقل السيوطي رحمه الله عن أبي مظفر السمعاني أن القول بأن أخبار الآحاد ليست حجة هو قول أهل البدع في رد الأخبار واختراعه المعتزلة وهو قولهم أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال. وتلقفه عنهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت. ولو أنصف أهل الفريق لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد».

« ومشهور معلوم: استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد».

« وكذلك أجمع أهل الإسلام على رواية أحاديث صفات الله وفي مسائل القدر والرؤية وأصل الإيمان والشفاعة والحوض... فإذا قلنا إن خبر الواحد بها لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ وجعلناهم لاغين هادين مشتغلين بما لا يفيد أحدا شيئا...

١ - الفقيه والمتفقه ٩٧/١ - ٩٨.

٢ - قال السبكي في طبقاته (٣٤٣/٥) « قال الجويني: لو كان الفقه ثوبا طويلا لكان أبو المظفر بن السمعاني طرازه. وقال ابنه أبو القاسم: أبو المظفر السمعاني شافعي وقته. وقال علي بن أبي القاسم الصفار: إذا ناظرت أبا المظفر فكأنني أناظر رجلا من التابعين. وأثنى السبكي على كتابه القواطع في أصول الفقه.

وربما يترقى هذا القول إلى أعظم من هذا. فإن النبي أدى هذا الدين إلى الواحد فالواحد من أصحابه ليؤدوه إلى الأمة وينقلوا عنه، فإذا لم يقبل قول الراوي لأنه واحد رجع هذا العيب إلى المؤدى، نعوذ بالله من هذا القول الشنيع والاعتقاد القبيح، ويدل عليه أن النبي ﷺ بعث الرسل إلى الملوك وكتب إليهم كتباً... وأنما بعث واحداً ودعاهم إلى الله تعالى وإلى التصديق برسائله لالتزام الحجة وقطع العذر... وهذه المعاني لا تحصل إلا بعد وفور العلم... فلو لم يقع العلم بخبر الواحد في أمور الدين لم يقتصر ﷺ على إرسال الواحد من أصحابه في هذا الأمر^١.

أفاد كلام أبي المظفر رحمه الله:

- أن أصل الجدل حول خبر الواحد إنما هو بدعة المعتزلة.
- أن الفقهاء تلتفقوا ذلك عنهم فلا يجوز بعد هذا التلقف الاحتجاج بأقوالهم دون النظر إلى موقف السلف وأئمة الحديث ممن لم ينصوا على شيء من ذلك.
- أن النبي كان يتعامل بخبر الواحد في دعوة الناس من أديان الكفر إلى دين الإسلام.
- أن خبر الواحد الثقة يحصل به العلم وتقوم به الحجة إذ كيف تقوم به الحجة بشيء لا يحصل به علم، أو كيف تقوم الحجة بالظن والشك؟
- أن ما تقوم به الحجة في الدعوة إلى الإسلام تقوم به الحجة في الخبر عن صفات الله وتفاصيل أمور العقائد الأخرى.
- أن السيوطي نقل هذا الكلام عن السمعاتي مستحسناً إياه مما يؤكد تأييد السيوطي لموقف السمعاتي من خبر الواحد.

ما مدى علاقة أهل الكلام بالحديث

وهكذا موّه أهل الكلام على الناس فلبسوا ثوب أهل الحديث بكلامهم على خبر الواحد، وهم لا يتقنون صناعة الحديث ولا ينبغي لهم وما يستطيعون التمييز بين المتواتر والآحاد بهذه السهولة؟ إذ كانوا عاكفين على دراسة المنطق والفلسفة لا على كتب الحديث.

فقد ذكر الرازي حديث «الرجال أعور وأن الله ليس بأعور» ثم قال «إنه من البعد صدور مثل هذا الكلام عن الرسول» وزعم أن رواية (حتى يضع الرب رجله) ضعيفة^١. وهذا جهل وقلة أدب مع النبي ﷺ وتناول على فن الحديث.

وزعم الجويني أن الحشوية تتمسك بحديث «إن الله خلق آدم على صورته» وزعم أن هذا الحديث غير مدون في الصحاح^٢. مع أن الحديث في البخاري ومسلم^٣.

وزعم أن حديث النزول ليس بمتواتر وباطل. وأنه لو أضرب عن جميع أخبار الآحاد وعدم اعتبارها لكان سائقاً. ثم رد حديث «الايمن بضع وسبعون شعبة» وزعم أنه مؤول لأنه من الآحاد. مع أنه كثيراً ما يحتج بأخبار الآحاد في إثبات عقيدة الصراط والحوض والميزان... الخ.

^١ - أنظر قول الحافظ ابن حجر فيه (تهذيب التهذيب ٤/٤٢٦-٤٢٩).

^٢ - أساس التقديس ١٥٩ و١٨٦.

^٣ - الارشاد ١٥٢-١٥٣.

^٤ - أنظر البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٦١٢).

^٥ - أنظر الارشاد ١٦١-٣٩٩.

وزعم الغزالي أن أكثر أحاديث التشبيه غير صحيحة. وهذا ما دعا الحافظ ابن حجر إلى التصريح بعدم خبرته هو والجويني بكتب الحديث المشهورة فضلاً عن غيرها^١.

وهذا شيء اعترف به الغزالي فقال « بضاعتي في الحديث مزجاة »^٢.

ولقد أنصف الشيخ محمد بن درويش الحوت حين صرح بأن الغزالي لا يعتمد عليه في الحديث لذكره في كتاب الأحياء جملة من الأحاديث الموضوعة^٣.

وأما ابن فورك فهو أبعد الناس عن فن الحديث. قال الحافظ ابن حجر «وبالغ ابن فورك فجزم بأن لفظ (الرجل) غير ثابتة عند أهل النقل، وهو مردود لثبوتها في الصحيحين»^٤.

وكان يورد أحاديث موضوعة كثيرة ثم يؤولها على طريقة الباطنية مما جعل الكوثري يطعن فيه ويصف طريقته في التأويل بأنها جارية على نمط تأويلات القرامطة^٥.

وهؤلاء هم من جملة من زعموا أن خبر الواحد مردود في العقائد مانعين ما لم يمنع منه أحمد ولا الشافعي.

وبهذا يتبين لك أن هؤلاء في طريق وأهل الحديث في طريق آخر.

^١ - أنظر التلخيص الحبير ٢٥٦/١ و ١٩/٢ و ٥٠ و ٢٧٥ وانظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ١٧٧ ط مكتبة الجندي تحقيق أبو العلا.

^٢ - قانون التأويل ١٦.

^٣ - أسنى المطالب ص ٥٧٢.

^٤ - فتح الباري ٨/٥٩٦.

^٥ - تعليق الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٥٢.

نماذج من جرأة أهل الكلام وتناولهم

وخذ مثلاً على جرأتهم وتناولهم ما قاله الرازي « إن أجل طبقات الرواة قدراً وهم الصحابة: ثم آتينا نعلم أن رواياتهم لا تفيد القطع واليقين^١. وقرر من قبل أن الأدلة النقلية كلها غير يقينية.

وقد نقل الجويني عن ابن فورك قوله « إن اتفقوا [أي الأئمة] على العمل به [أي خبر الواحد] لم يحكم بصدقه».

ونقل قول القاضي « لا يحكم بصدقه وإن تلقوه بالقبول قولاً وقطعاً.

قيل له لو رفعوا هذا الظن عنه وبأحوا بالصدق فماذا تقول؟

قال: لا يتصور هذا فإنهم لا يتوصلون إلى العلم بصدقه ولو قطعوا كانتوا مجازفين وأهل الاجماع لا يجتمعون على باطل^٢.

وفي هذا نسف لأغلب أحكام الدين فإن المتواتر قليل إلى حد الندرة. قال العلامة صديق حسن خان " وغالب السنة الشريفة آحاد والعمل بها واجب محتم" وقال ابن حزم « أكثر السنة منقولة بطريق الآحاد^٣.

وهكذا باسم الاحتياط توصل هؤلاء إلى رد أكثر السنة. فهذا والله ليس دفاعاً عن الدين وإنما هدم له.

^١ - أساس التقديس ٢١٦

^٢ - البرهان في أصول الفقه ٣٧٩/١.

^٣ - الدين الخالص ٣: ٢٨٤ الاحكام لابن حزم ١٢١/١-١٢٢.

التخريج العقلاني للأخبار

ونكر الجويني أول علامات صدق الحديث أن يأتي موافقاً للعقل^١.

وقال أبو منصور البغدادي: «فإن روى الراوي ما يحيله العقل، ولم يحتمل تأويلاً صحيحاً فخير مردود... وإن كان ما رواه الثقة يروع ظاهره في العقول ولكنه يحتمل تأويلاً يوافق قضايا العقول قبلنا روايته وتأولناه على موافقة العقول». وضرب لذلك مثلاً بحديث «أن الله يضع قدمه في النار»^٢.

فضابط صحة الخبر عند هؤلاء قبولاً ورداً إثباتاً وتأويلاً هو العقل..

ولو اتبع الحق أهواءهم (عقولهم) لضاع ما جاء به محمد ﷺ.

^١ - البرهان في أصول الفقه ١/٣٦٩.

^٢ - أصول الدين ٢٣.

نطالبكم بدليل متواتر يحدد العقائد بالمتواتر

ثم إن قولهم « حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة » هو في ذاته عقيدة، فإنهم اشترطوا أن تكون العقيدة مبنية على النص القاطع الصريح والسند المتواتر وأنه لا مجال للرأي في العقائد.

فأين الدليل من كلام الله أو رسوله أو السلف على هذه العقيدة؟

أين التواتر على ما اعتقدتموه في ذلك؟ هذا كاف لإبطال كل استدلالكم.

الشرعية هي التي تحدد أعداد الشهود

هذا أمر يجب النظر فيه إلى موقف الشرع منه، والشرع جاء بتحديد أعداد المخبرين والشهود في بعض المسائل كشهادة الاثنين على القاتل وفي التبائع وأجاز خبر الواحد في رؤية الهلال بينما لم يجز شهادة أقل من أربع في الشهادة على الزنا. فلا يجوز أن تهتم الشريعة ببيان تحديد عدد الشهود ورواة الحوادث في حين تترك بيان تحديد الرواة في العقائد، ثم يؤدي هذا السكوت إلى الاختلاف؟

فإذا لم تحدد الشريعة المتواتر في أمور العقيدة فهذا يعني الإطلاق ولا يجوز تقييد هذا الإطلاق برأي لا سلف للرأي فيه، فإن العموم يجب أن يبقى على عمومته حتى يأتي ما يخصه.

حجة دامغة

والرسول اراد ضمان عصمتنا من الضلالة فقال « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي » والضلالة هي انحراف في الاعتقاد فكيف يضمن عصمتنا من ضلالة الاعتقاد بسنة أكثر رواياتها من أخبار الأحاد!

ولو كان هناك تحديد لتبهننا عليه كما حذرنا من الكذب عليه حين قال « من كذب علي متعمدا ». ولم ينفه عن أخذ خبر الواحد في العقائد بل الثابت عنه أنه كان يرسل آحاد الناس لتعليم الدين كله لا فروعه فقط. ولا يعقل أن يرسل رسول الله ﷺ إلى ملك قيصر وكسرى وفارس من يعلمهم أحكام الطهارة والبيوع وحكم الأكل باليمين والشرب واقفا وهم لم يسلموا بعد!

الذين تصف ألسنتهم الكذب

وتحريم ما لم يحرمه الله من أعظم الفرية عليه وهو تشريع بما لم يأذن به الله وأفتراء عليه، قال تعالى « أم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » (الشورى ٢١) « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » (التحل ١١٦).

فتحريم ما لم يحرمه الله نذب أعظم من نذب نزول الرماة عن الجبل يوم غزوة أحد بعدما أمرهم الرسول ﷺ بالثبات عليه يوم غزوة أحد.

وإذا كادت الهزيمة أن تحل لمجرد عصيان صغير فكيف بضلالات هذه الفرق التي تتادي حكامها بتحكيم الشريعة بينما هي لا تتحاكم إليها؟

ما زال على العاملين للإسلام جماعات وأفراد مزيد من الخضوع والتسليم لهذا الدين والالتقياد للحق بلا تكلف وأن ينفضوا عنهم غبار التقليد والتبعية والتعصب.

لأن معادة الذخاة الى الله ومراوغتهم عن الحق أمقت عند الله من معادة من سواهم من عامة الخلق.

والإفان وجود حكام لا يتحاكمون الى الشريعة إنما هو تسليط وعقوبة ونتيجة لوجود إسلاميين لا يتحاكمون الى الشريعة. يدعون الى التقليد وتأويل الصفات والابتداع في الدين ويجادلون عن التصوف وعلم الكلام والجدل ومع هذا يطالبون الحكام بتعظيم شرع الله بينما هم لا يعظمونه! والجزاء من جنس العمل: فلما كان كثيرون دينهم الرسمي الاسلام: من غير أن يتحاكموا اليه ولا يعملوا به سلط الله عليهم من يقولون: دين الدولة الرسمي الاسلام من غير أن يتحاكموا اليه ولا يطبقوه:

﴿ ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾.

يجعلون للظن منزلة في الشريعة

والظن مذموم بعمومه وهؤلاء أوجبوه في قسم من الشريعة وحرموه في جانب آخر. وجعلوا منه مصدرا للتشريع ويميزون بين الحلال والحرام بالظني.

قال تعالى ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ [يونس ٣٦] فجعلوه مغن من الحق في الأحكام غير مغن من الحق في العقائد. فكان الآية صارت عندهم هكذا :

وإن الظن لا يغني من العقائد دون الأحكام شيئا!

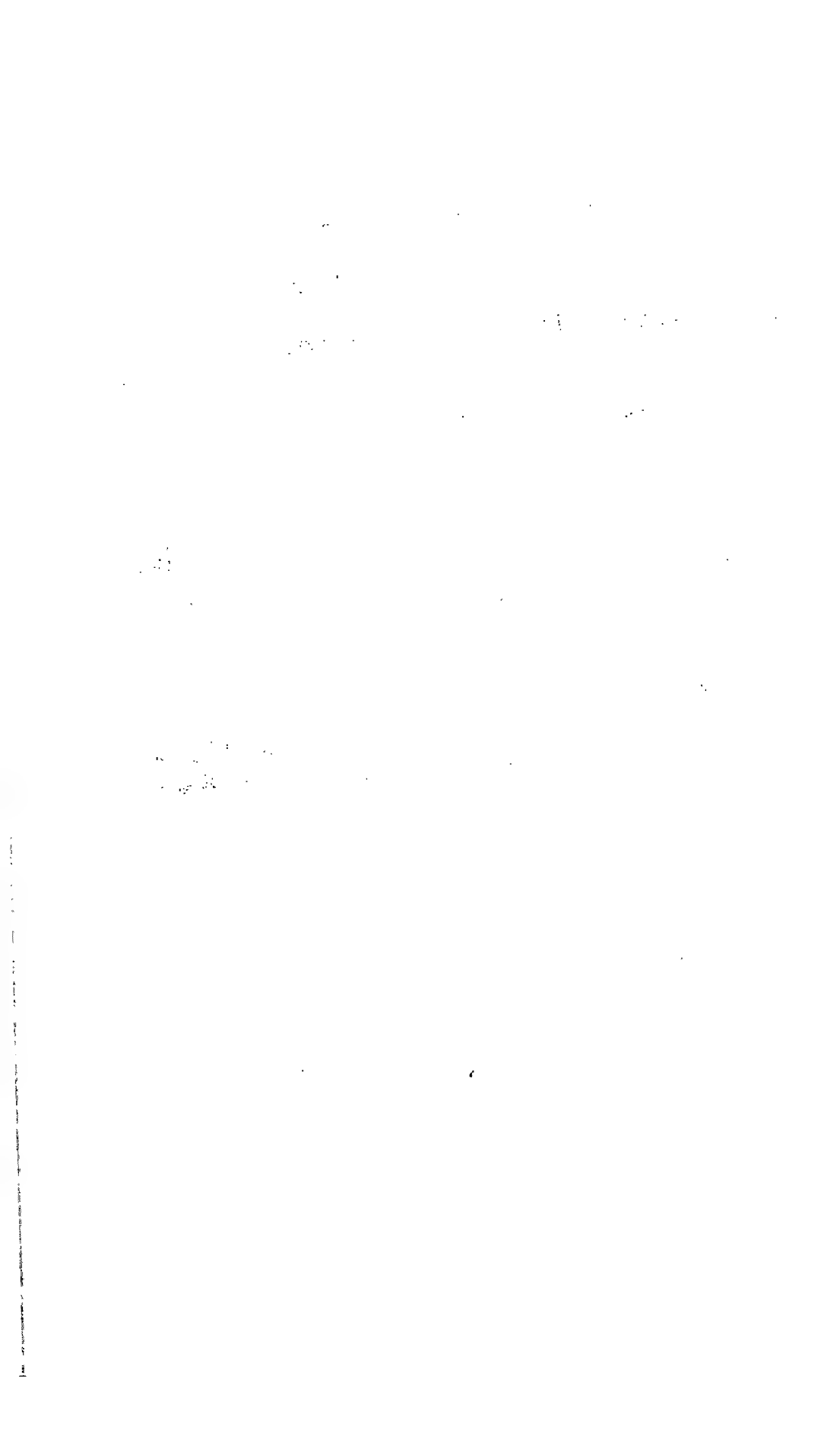
بينما لم يجعل الله للخرص منزلة واصفاً الظن بأنه وهم وخرص ﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ [الأنعام ١٤٨] وهذا الوهم والخرص لا منزلة له في الدين لا في العقائد ولا في الأحكام. غير أن هؤلاء جعلوا للخرص منزلة مقبولة في قسم الأحكام الشرعية من الدين.

مسائل الأحكام مرتبطة بعقيدة

إن أي مسألة في الأحكام لا بد أن يصحبها اعتقاد بتحريمها أو تحليلها، وكيف تستسيغ العقول قبول حكم شرعي دون الإيمان به أولاً؟ فمثلاً إن من حرم على نفسه نكاح المرأة على عمتها أو خالتها فإنه يجرم ذلك اعتقاداً منه أن الله قد حرم عليه ذلك، وهذا التحريم ثابت بخبر الواحد.

فهناك أحاديث تتضمن كلاماً في أمور الفقه وآخر في العقائد كحديث « إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع: يقول: اللهم اني أعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب الجهنم ومن عذاب المسح الدجال ». وحديث معاذ بن جبل « أنك تدعو قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه لا اله الا الله ».

وحتى أحاديث الأحكام تتعلق بالعقائد حتماً ومثال ذلك: مسألة النية. فمن توضأ لمجرد النشاط أو يصلي لمجرد الرياضة أو يحج للسياحة، ولا يعتقد أنه يفعل فعلاً أوجبه الله عليه لم يستفد من فعله ذلك.



الجويني يشهد باضطراب نفاة خبر الواحد

فقد قال الجويني « ومما يشترط في الخبر المتواتر صدوره عن عدد. وقد اضطرب الناس في ذلك اضطراباً قاحشاً:

فذهب قوم الى اعتبار الأربعين: مصيرا الى عدد الجمعة عند بعض الفقهاء. واعتبر آخرون السبعين لقوله تعالى ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا﴾.

وذكر بعضهم عدد رجال بدر، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر. وذكر بعضهم عدد أهل الرضوان وكانوا ألفا وسبعمائة. وقال طوائف من الفقهاء: ينبغي أن يبلغوا مبلغا لا يحويهم بلد ولا يحصيهم عدد. قال الجويني « وهذا سرف ومجاوزة حد، وذم هول عند مدرك الحق^١.

أضاف « فلا وجه لاعتبار شيء منه [أي هذه الأقوال] « ولا يتوقف حصول العلم بصدق المخبرين على حد محدود وعدد معدود، ولكن إذا ثبتت قرائن الصدق ثبت العلم به... ولا تعويل على العدد بمجرد أصله^٢.

وعند أهل الكلام: إذا اختلف في المسألة صارت ظنية وعدنا الى الظن من حيث هربنا منه.

وإذا قلنا أن الإجماع منقوض والاختلاف هو الصحيح عدنا الى أن القضية صارت ظنية لأنها صارت خلافية فكيف بنيت على الظن؟

ولو فرضنا أن الأمر مجمع عليه فقد اعترف عمر بكري بأن الإجماع مختلف في اعتباره بين الأئمة^٣. ومع ذلك فإنهم يدعون إجماعات كثيرة

^١ - البرهان في أصول الفقه ١/٣٧٠-٣٧١

^٢ - البرهان في أصول الفقه ١/٣٧٤-٣٧٥.

^٣ - شريط الصيام ٢٥٩،٠٠.

إذا تفحصتها وجدتها ظنوناً وأوهاماً وتفردات لأهل الكلام. وهم يزعمون أمام العامة من الناس أن ترك خبر الواحد في العقائد أمر مجمع عليه بين سائر أهل العلم وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه ليس ثمة إجماع.

ثم بتقدير أن هناك خلافاً ماذا نفعل إذا اختلفنا قالى من نرجع وإلى من نحتكم؟ إلى عقولنا: إن العقول مختلفة في ذلك؟ أم إلى الكتاب والسنة؟ والكتاب والسنة لا يحويان شيئاً من شروطكم!

نفاه خبر الواحد مختلفون فيما بينهم

وقد ثبت أن الطاعنين في خبر الواحد متناقضون مختلفون. فمنهم من لا يقبل خبر الواحد في الأحكام ومنهم من يستثنى الحدود من الأحكام ومنهم من يخرج المشهور من الآحاد ويجعله من المتواتر. ومنهم من يخرج المتواتر المعنوي من أخبار الواحد.

قال أبو بكر الجصاص إمام الحنفية «ما تلقاه الناس بالقبول من أخبار الآحاد فهو عندنا في معنى المتواتر، فيجوز تخصيص القرآن به، وهذه صفة هذا الخبر، لأن الصحابة قد تلقته بالقبول واستعملته»^١ فهو يلحق المشهور بالمتواتر، وكذلك قال الشيخ قاري «وأحاديث الآحاد لو ثبتت إنما تكون ظنية اللهم إلا إذا تعددت طرقه بحيث صار متواتراً معنوياً فحينئذ قد يكون قطعياً وخالفهم الجمهور فاعتبروه من قسم الآحاد».

والحنفية لا يأخذون بالآحاد في الحدود مستدلين بقول النبي ﷺ «ادروا الحدود بالشبهات» والحدود من باب الأحكام وليس العقائد.

١ - الفصول ص ٤٠٣ أحكام القرآن ٣٨٦/١ ط دار الكتاب العربي.

٢ - الفقه الأكبر ٨٣.

تناقضهم حول وجوب العمل بخبر الواحد

وقد حكم الجويني أيضاً على الفقهاء القائلين بأن خبر الواحد (لا يوجب العلم ويوجب العمل) بأنهم متساهلون وأن المقطوع به: أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا يوجب العمل. قال: فلو ثبت وجوب العمل به لثبت العلم بوجوب العمل^١.

وقد تقدم أن المتواتر في أحكام الدين قليل إلى حد الندرة. قال العلامة صديق حسن خان "وغالب السنة الشريفة آحاد والعمل بها واجب محتّم" وقال ابن حزم «أكثر السنة منقولة بطريق الآحاد»^٢. وهكذا باسم الاحتياط توصل هؤلاء إلى رد أكثر السنة. فهذا والله ليس دفاعاً عن الدين وإنما هدم للدين.

سلسلة تناقضاتهم تفتح باب الطعن في الدين

ومن تناقضهم أنهم جعلوا خبر الواحد مظنوناً مع تجويزهم أن يكون في نفس الأمر كذباً أو خطأ، ثم يوجبون العمل به مع ما يخالجه نفوسهم من احتمال كونه باطلاً. ولا شك أن هذا التوقف يدفع الثقة بأصول الدين وفروعه. ويفتح باب الطعن في مصادر هذه الأمة. فيتسلط الأعداء على المسلمين بتمكين من المسلمين أنفسهم من حيث لا يشعرون، ويتهمونهم بإيجاب العمل بالخرص والظن. كأن يقولوا لهم كيف يأمر الله بما قد نهى عنه وهو الظن والخرص؟ وكيف يكون خبر الواحد حراماً وواجباً في وقت واحد؟

١ - البرهان في أصول الفقه ٣٨٨/١ ط: دار الوفاء - مصر.

٢ - الدين الخالص ٣: ٢٨٤ الأحكام لابن حزم ١٢١-١٢٢.

وإذا كان خبر الواحد عندكم محتمل الصدق ومحتمل الخطأ أو الكذب فقد صار عندكم محل احتمال، وما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال^١ فكيف يجوز الاستدلال بخبر الواحد على الأحكام الشرعية مع كونه ساقط الاستدلال عندكم؟!

فهؤلاء لم ينقدوا الأمة من مرض التجهم والفلسفة والإعتزال، وإنما قاموا فقط بتعديل طفيف على انحراف المعتزلة من غير أن يقضوا عليه. وشككوا في غالب أحاديث رسول الله ﷺ ونسبوا الإسلاميين إلى التناقض حين زعموا أنهم يريدون تنقية السنة من روايات الظن والخرص وجعلوا الصحيح ظنياً خرصاً وهماً واجباً ديناً، وحكموا على تارك هذا الوهم والخرص في الأحكام الشرعية بأنه آثم عند الله وإذا أخذ به في العقائد فإنه آثم أيضاً عند الله!!!

وهم لا يقدرّون على الإجابة على شبهات المستشرقين والقرآنيين إذا سألوهم: كيف اعتمدتم في نصف دينكم وفي مسائل الحرام والحلال على ما اعترفتم بأنه خرص ووهم؟

ولا يقدرّون على الهروب من تسلط نفاة السنة القرآنيين إذ يقولون لهم: نحن أكثر استقامة منكم أنتم المراوغين الذين تحذرون الناس من الظن وفي نفس الوقت تأمروهم به. وإنما يقدر على الجواب عن شبهاتهم والتحرر من تسلطهم من سلم من أحكام أهل الكلام المتناقضة وأثبت خبر الواحد على طريقة أحمد والشافعي.

فلم يستفد هؤلاء من هذه الوسوسة إلا التشويش والتهويل على أهل السنة. وفتح ثغرة أمام المستشرقين والطاعنين بالسنة كالقرآنيين، ومع أنهم لم يجحدوا غير أنهم عطلوا حججه وأبطلوا الاحتجاج به في أصل الدين، وأما في فرع وقوع الشك والتساؤل: كيف أحتج وأبني أمور ديني على ما هو ظني وغير قطعي؟

^١ - الاستدلال بالظني في العقيدة ص ٥٨.

فهؤلاء يثبتون الشك في نفوس العامة في ثلاثة أرباع السنة لأن ثلاثة أرباعها من قبيل خبر الواحد.

وصدق ابن تيمية إذ قال « وهذا القول الباطل يجلب سوء الظن بسلفنا الصالح الذين تقبلوا هذه الأخبار وحكموا بها، واستباحوا بها الحرام، وسفكوا بها الدماء، وتصرفوا بها في سائر الأحكام، حيث اعتمدوا أدلة غير متحققة الثبوت. فيتسلط من ها هنا الأعداء عليهم بثلبهم وعينهم بالتخرص والظن في الدين، ويكون هؤلاء العلماء هم الذين سلطوهم عليهم وعلى أنفسهم من حيث لا يشعرون.

فمن جعلها ظنية الثبوت أجاز أن تكون في نفس الأمر كذبا مع نسبتها إلى شرع الله، وأجاز أن يكون قد دخلها التغيير والتبديل والتحويل مما كانت عليه والزيادة والنقص والنسيان والاهمال ونحو ذلك. ولا شك أن في هذا تكديبا لله في خبره بحفظها».

حفظ السنة من حفظ الذكر

ولقد أخطأ من ظن أن الله قد تكفل بحفظ القرآن دون السنة، فإن الله قيد للسنة من يحفظونها ويصونونها من الدس والكذب وهذا من الاعجاز الالهي. قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟ قال: تعيّن لها الجهابذة «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

ويغيب عن أذهان المتكلمين ممن احتجوا بأن الراوي الواحد يجوز عليه السهو والنسيان: أن السنة وحي نزل من عند الله وكل وحي نزل من عند الله هو من الذكر الذي تكفل الله بحفظه. فالسنة من الشرع المنزل كالقرآن نقونه ﷺ «أوتيت القرآن ومثله معه» فلها حكم الشرع من حفظ الله وحمايته لتقوم حجته على العباد، فلا بد أن تكون السنة داخلة في اسم الذكر الذي تكفل الله بحفظه. فالاعجاز الالهي يقتضي أن يكشف الله هذا السهو والنسيان. قال سفيان بن عيينة «ما ستر الله أحداً يكتب في الحديث».

كتب الجرح والتعديل خير شاهد على حفظ السنة

فأهل الحديث لهم في العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره ما ليس لغيرهم به شعور. وها هي كتب الجرح والتعديل خير شاهد على هذا الحفظ. فقد ضبط النقاد أسماء الثقات والضعفاء وأوضاعين وتاريخ مولدهم وأسماء مشايخهم وتلاميذهم وبداية اختلاط كل واحد منهم إلى موته، وهكذا سلط الله على رواة الحديث مخابرات اسلامية حديثة لم تدع شيئاً من حياتهم لها علاقة بمصادقية رواياتهم الا أحصتها ودونتها لنا. أفليس ذلك مصداق وعد الله بحفظ ذكره أي وحيه؟!.

فإن قالوا: قد كثرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم قتنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، أما العلماء فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير فيميزون زيوفها ويأخذون خيارها ولئن دخل في أعمار الرواة من وسم بالغلط في الأحاديث فلا يروج ذلك على جهابذة الحديث وورثة الأنبياء.

أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ

والله قد أمر بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ولم يستثن من الطاعة ما ثبتت روايته بطريق الواحد، بل اشترط لصحة الصحة، وأنتم تصفون خبر الواحد الذي في البخاري بأنه صحيح ومشكوك فيه! بل إن أكثر أخبار السنة من أخبار الآحاد. وهذا بذاته حجة تبطل من ادعى التفريق بين العقائد والأحكام في مسألة خبر الواحد.

فهل عرف النبي هذا التفريق أم لم يعرفه؟
وإذا كان لم يعرفه فكيف عرفتموه أنتم؟
وإذا عرفه: هل بلغه أم لم يبلغه؟

مسائل عقائدية ثابتة بخبر الواحد

- واليكم مسائل في العقيدة وردت إلينا بطريق خبر الواحد:
- نبوة آدم.
- العشرة المبشرون بالجنة.
- أفضلية نبوة نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين.
- ثبتت الأحاديث فيه عن طريق الآحاد.
- خصوصيات النبي ﷺ مثل دخول الجنة ورؤية أهلها وما أعد للمتقين فيها. وإسلام قرينه ﷺ من الجن.
- الإيمان بأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.
- الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر.
- شفاعة النبي ﷺ العظمى في المحشر.
- شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته.
- الإيمان بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.
- الإيمان بأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة.
- كثير من معجزات النبي ﷺ ما عدا معجزة القرآن.
- نزول عيسى عليه السلام.
- كثير مما ورد في صفات الجنة والنار وتفصيل أخبار اليوم الآخر.

- حديث أن الحجر الأسود من الجنة. ثبت بطريق الآحاد.
- الايمان بعذاب القبر وبضغطة القبر والميزان ذي الكفتين واللساتين والمحشر والنشر يوم القيامة مما ليس في القرآن.
- الايمان بالصراط وحوض النبي وأن من شرب منه شربة لم يظماً بعدها.
- دخول سبعين ألفاً من أمة ﷺ الجنة بغير حساب.
- الايمان بانقضاء والقدر خيره وشره وأن الله كتب على كل انسان سعادته وشقاوته ورزقه وأجله.
- الايمان بالقلم واللوح وأن الله كتب فيه كل شيء.
- الايمان بأن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون النبي سلام أمته

أكثر الحديث عندهم أكذبه

وحذر النبي ﷺ من الأخذ بالظن فقال « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » فجعل هؤلاء أكثر الحديث أكذب الحديث، لأن أكثر روايات السنة أحادية وما المتواتر فيها الا قليل جدا.

أن الله أنكر اتباع الظن مطلقا ولم يقيده بالعقيدة دون الأحكام فقال «سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا» هذا في العقيدة «ولاحرمتنا من شيء» وهذا في الأحكام، «كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون» الأنعام: ١٤٨.

وقد زعم المخالفون أن الآية بينت أنهم هم الذين أحلوا وحرموا وهذه مسألة عقيدة لأن أصل التحريم والتحليل مرتبط بالعقيدة. مع أن الآية تخالفهم وتبين أن المشركين زعموا أن الله حرم هذا (قل هل شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) وإنما تحريمهم ذلك أي إقامتهم عليه.

وإذا كان التحريم والتحليل باعترافكم عقيدة فهاتوا دليلا على تحريمكم خبر الواحد في العقيدة وفرضكم للوهم والخرص في الأحكام؟

تحريم الفروج وإباحة الدماء تجوز بالظن!!

وأخبار الآحاد هذه يجوز أن تكون أحكاما تحلل بها الدماء والفروج أو تحرم، كتحریم المرأة على خالتها؟ فهل يجوز اعتماد الظن في مثل هذه الأمور؟ وهل يجوز أن يكون تحريم المرأة على خالتها عند قوم حلالا عند آخرين!!

روى البيهقي عن اسحاق بن راهويه قال « دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي يا أبا يعقوب، تقول أن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت أيها الأمير إن الله تعالى بعث إلينا نبياً نقل إلينا عنه أخبار، بها تحلل الدماء وبها نحرم، وبها تحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك. فأمسك الأمير^١ ».

^١ - ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ٥٦٨

حجة دامغة أخرى:

ما حكم من يرفض خبر الواحد في العقائد والأحكام؟

ويقال لمن يجيز الظن في الأحكام أنا أرفض الأخذ بالظن في العقائد والأحكام لا في العقائد فقط لأن خبر الواحد يفيد الظن. فكيف تقيمون علي الحجة بل الحجة ضدكم أنكم حيث وصفتموه بأنه وهم وخرص وهو مذموم مطلقاً، فإن يك مذموماً فليكن ممنوعاً مطلقاً في سائر الدين لا بعضه.

ولهذا كان المعتزلة أقرب إلى المنطق من الأشاعرة مع كونهم أبعد عن الحق منهم. فإِنَّهم لما اعتبروا خبر الواحد ظنياً ردوه مطلقاً لأن الظن مذموم مطلقاً. وإِما تناقض من جمع بين تحريم الظن ووجوب الظن.

أن النبي ﷺ كان يرسل الآحاد من الصحابة إلى البلاد ليدعوا إلى الإسلام ويبلغوا هذا الدين، وأول ما يبلغون مسائل الاعتقاد قبل أحكام الوضوء والصلاة كما قال لمعاذ إنك تأتي قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه لا إله إلا الله.

ولولا أن أخبارهم تفيد العلم وتقوم بها الحجة عقيدة وأحكاماً لم يرسلهم ﷺ لأنه لا يحصل حينئذ البلاغ. ولكان من يرفضون الأخذ بالاسلام من آحاد الصحابة معذورين لأن خبر العقائد يتطلب أن يكون المبلغون متواترين.

خطوات على طريق الاعتزال

أن منكري خبر الواحد يحتجون بأحاديث طالما كانت مدار احتجاج المعتزلة قبلهم كخبر ذي الدين وقصة تثبيت عمر من خبر الإستئذان. وقد فاتهم أن هذا الاستدلال يعني مضاهاة المعتزلة الذين ردوا خبر الواحد في العقائد والأحكام، وهذه الآثار تتعلق بالأحكام وليس في العقائد. وإنما احتج المعتزلة بها في رد خبر الواحد في العقائد والأحكام.

يقولون ما يفقهون

أن أهل الحديث أجازوا العمل بالحديث الضعيف في حدود ضيقة كفضائل الأعمال، واشتروا لذلك شروطاً منها: ألا يروى بصيغة الجزم وإنما بصيغة التمرّض وألا يعتقد صحته.

ومنعه آخرون في كل أبواب الدين كالعقائد والأحكام. كالبخاري ومسلم، وليس ذلك إلا لعدم صحته. ولم تعلم الأمة أكثر منهما حرصاً على رواية الصحيح والابتعاد عن الضعيف. والبخاري ومسلم وغيرهما منعوا رواية الضعيف ولم يمنعوا من خبر الواحد.

وأما هؤلاء فقد جعلوا حديث الواحد الصحيح أخاً للضعيف. ففي الوقت الذي يصفون فيه خبر الواحد الثقة بأنه «صحيح» إلا أنهم ينزلونه منزلة الحديث الضعيف فيقولون: صحيح لكنه وهم وخرص.

فصار خبر الواحد الذي في الصحيحين صحيحاً مجازاً ضعيفاً حقيقة. هكذا يقولون ما لا يعقلون. تأملهم حين يقولون:

• هو صحيح ولكن لا حجة في العقائد إلا الأحاديث المقطوع بصحتها.

• هو صحيح ولكن لا نأخذ بالظن في العقائد لأن الله ذم الذين يأخذون بالظن.

• رواه البخاري وهو صحيح بإجماع أهل الحديث لكنه ظني لا يلتفت إليه في أمور العقيدة.

ولا شك أن الحديث إذا صح سنده فهو قطعي الثبوت، فمن أقر بصحة سند الحديث وزعم أنه ظني الثبوت فلا يجوز القطع بصحة عقله واستواء تفكيره. إذ كيف تجمع بين القطع بصحة الثبوت وبين قولك ظني الثبوت صحيح السند؟ هذا تناقض واضطراب ممن قدموا عقولهم المريضة بين يدي نصوص الشرع.

فإن الخبر ثلاثة أنواع :

• ما اتصل سنده وثبتت روايته. فهذا حجة ومقبول.

• ما انقطع إسناده وضعفت روايته فهذا مردود.

• ما لا أصل لسنده وعرف وضعه وكذبه فهذا تحرم روايته.

فما صح سنده فهو قطعي الثبوت سواء أكان متواتراً أو أحاداً، وعليه الإجماع كما ذكره كثيرون منهم من تقدم كالسمعاني.

هذا وسط بين: من نفوا خبر الواحد. وبين من تذبذبوا بين نفيه وإثباته من جهة، وبين من أثبتوه كله من غير نظر إلى سلامته من العلل القاذحة فيه. والمخالف مطالب بالدليل.

تلاعب وكذب مفتي حزب التحرير

وقد كتب عمر بكري [مفتي حزب التحرير] رسالة حول عذاب القبر وخبر الواحد، تضمنت أكاذيب كثيرة من ضمنها:

تحريفه (ص ٧) كلاماً للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وفيما يلي نصه « أن الامام أحمد نقلت عنه روايتان: إحداهما أنه يفيد العلم، والأخرى أنه لا يفيد العلم، وأن الأصحاب - أصحاب أحمد - اختلفوا على قولين تبعاً لما روي عن أحمد: فمنهم من قال: أنه يفيد العلم ومنهم من يقول أنه لا يفيد العلم». علق بكري على ذلك قائلاً « يقول الدكتور التركي ان خبر الواحد يفيد العلم اذا انضم له قرائن أخرى كالاجماع».

واشترط الاجماع تعجيز وشغب ودعوى فاته حتى الاجماع فيه كلام طويل واختلاف وما أكثر إجماعات المبتدعة المزعومة فإنها كلمة رنانة في أذن العوام ويدعي أهل البدع إجماعات كثيرة.

وهذا كذب فقد انتهى الدكتور التركي الى القول « والذي أرجحه أخيراً هو رأي جمهور الحنابلة: وهو أن خبر الواحد يفيد العلم اذا ثبت بطريق صحيح ودل الدليل على صدق قائله أي عند انضمام القرائن» انتهى. فانظر كيف أدخل بكري الاجماع كذبا واختلاقاً. ولم أعرف عن أحد منهم اشتراط الاجماع لقبول خبر الواحد.

وكتب هذا الرجل أن الدكتور التركي وافق ابن تيمية في الطعن برواية الأثر عن أحمد أنه لا يقطع بخبر الواحد، ثم أكد أن الحق افادة خبر الواحد العلم عند أحمد وغيره قائلاً « واذا انضم لخبر الواحد ما يقويه فليس افادته العلم قول أحمد - رحمه الله وحده، بل يشاركه غيره من العلماء، وفي هذا قال ابن تيمية « وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي

وأحمد: وهو قول أكثر أصحاب الأشعري^١. وفي هذا الكلام تسليم من عمر بكري بوقوع الخلاف حول قبول خبر الواحد وإذا كان الخلاف واقعاً فيه صار مظلوناً.

وبمثل هذا التلاعب تعلم مدى عدم مصداقية هذا الرجل وأمانته وأنه يجب فحص النصوص التي ينقلها هذا الرجل عن الأئمة والعلماء وعدم التسليم لنقله التي لا تخلو من تحريف وكتمان.

وفي هذا أيضاً رد عليه أيضاً حيث انتقد في رسالته (ص ٢٢) ابن حزم واتهمه بمخالفة جماهير علماء الأمة لتصريحه أفادة خبر الواحد للعلم والعمل. ولكن إذا كان ابن حزم عنده مخالفاً للجمهور من الشافعية والحنفية والمالكية في أفادة خبر الواحد للعلم والعمل، فهل من يزعم أنه يحرم الأخذ بخبر الواحد في العقائد ويجب الأخذ به في الأحكام موافق للجمهور سائر على خطاهم؟ ومتى ظهرت هذه العقيدة التي لا سلف لها؟

^١ - أصول مذهب الإمام أحمد ٢٥٣-٢٥٥.

تعقيبات على رسالة عمر بكري

«عذاب القبر وخبر الواحد»

وهذه الرسالة التي كتبها عمر بكري حول عذاب القبر وخبر الواحد ابتدأها بالكذب على السلف الصالح حيث زعم أنهم مختلفون في أثبات عذاب القبر فيما بينهم. وأما فيما يتعلق بخبر الواحد فقد جمع في هذه الرسالة أقوالا متناقضة، من ذلك:

• نقل عن النووي «الذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها» فهذا الكلام طيب جدا لا سيما أن لفظ (الشرع) يطلق ويراد به عموم ما شرعه الله من عقائد وأحكام. واللفظ إذا أتى عاما يبقى عاما ولا يجوز تخصيصه بغير دليل والا كان تحريفا للكلم عن مواضعه.

ثم تضمن كلام النووي اعترافا بأن أصل هذه المقالة الفاسدة من عند المعتزلة. حيث قالوا بأنه لا يجب العمل بخبر الواحد وأن الذي منع العمل به دليل العقل.

وتضمن (ص ٤) اعترافا بأنه لم تزل كتب النبي وآحاد رسله يعمل بها ويلزمهم النبي ﷺ العمل بذلك واستمر على ذلك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم من السلف والخلف على امتثال خبر الواحد ورجوعهم إليه في القضاء والفتيا... واحتجاجهم بذلك على من خالفهم... وقد جاء الشرع بوجوب العمل به فوجب التصير إليه».

الموقف الحقيقي من خبر الواحد

• ومن التناقضات (ص ٥) إقراره لسيد قطب إنكار تعرض نبينا للسكر لأن الرواية جاءت من طريق خبر الواحد ولأنها تخالف أصل العصمة النبوية وتصطدم بنفي القرآن عن الرسول أنه مسحور».

• ولعله تجاهل قول النووي « وقد أكرر بعض المبتدعة هذا الحديث فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها.. وهذا الذي ادعاه المبتدعة باطل»^١ ونقل عن القاضي أن كل ما حصل للنبي هو تخيل أتيان النساء وهو لا يأتيهن. وقد خيل لموسى من سحر سحرة فرعون أن عصيهم حية تسعى وهذا ليس طعناً في نبوة موسى. وهو ما نقله الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٢٦/١٠).

وهذا الاقرار لسيد قطب على إنكار هذه الرواية يبين حقيقة موقف هؤلاء من خبر الواحد، فهم يخافون تضليل أهل العلم لهم وخشروهم مع القرآنيين منكري السنة فلذلك اختلقوا مرتبة بين الصحيح والضعيف فقالوا: خبر الواحد نصدق به ولا نؤمن به. نأخذ به في الأحكام ولا نأخذ به في العقائد.

تناقض آخر أنه جمع جمعاً أزا به التكثير قدر الامكان وحشد أقوال العلماء ما أمكن وذلك ليظن القارئ أن الأمة مجمعة على عدم الأخذ بخبر الواحد في العقائد. غير أنه نقل (ص ١٤ و ١٥) عن الشوكاني ومحمد عجاج الخطيب تصريحهما بأن رد خبر الواحد في العقائد أمر مختلف فيه لم يجمعوا عليه لا سيما وأن لأحمد روايتين: إحداهما أنه يفيد العلم وهي صحيحة السند والأخرى لم تثبت صحتها وهي أنه لا يفيد العلم. وإذا كان مختلفاً فيه فقد عدنا إلى الظن من حيث هربنا منه.

^١ - شرح مسلم ٤٢٥/١٤ حديث رقم ٢١٨٩.

والقول بأنه يفيد العلم هو الصحيح عن أحمد فقد اشتهر عنه القطع بأحاديث الرؤية والعلم بمدلولها ويتأيد ذلك بما اشتهر عنه من الشهادة للعشرة بالجنة مع أن الخبر فيهم آحاد، ونص في رواية أحمد بن الحسين الترمذي أنه يجزم على الخبر عن رسول الله.

فأما الرواية الثانية عنه بترك الجزم فغير صحيحة عنه وإن اشتهرت عند الأصوليين وعمدتها ما حكاه الأثرم عنه أنه قال: إذا جاء الحديث بإسناد صحيح فيه حكم أو فرض عملت به وندت الله به ولا أشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك».

وهذه الرواية انفرد بها الأثرم، وليست في مسائله ولا في كتاب السنة، وقد نقلها ابن تيمية من خط القاضي على ظهر المجلد الثاني من العدة وذكر القاضي أنه نقلها من كتاب معاني الحديث للأثرم بخط أبي حفص العكبري فتحقق بذلك ضعف الرواية عنه بعدم القطع، وترجحت الرواية الأولى والحمد لله.

• تناقض آخر (ص ١٠) اعترافه بأن أبا حنيفة رد خبر الأمر بالمسح على الجبيرة لأن روايته جاءت من طريق خبر الواحد فلا تثبت الفرضية به. لذا فإن الخبر يوجب العمل ولا يوجب العلم. وهذا يعني أن أبا حنيفة لا يأخذ بخبر الواحد حتى في الأحكام. وهو بذلك يطعن بأبي حنيفة ويجعل قوله متفقا مع أقوال المعتزلة.

• احتجاجه (ص ١٣) بأمثلة ضربها الشيخ بدران مروية عن السلف مثل أن أبا بكر أنكر حديثا أحاديا حتى يشهد اثنان أنهما سمعاه. وكذلك انكار عمر رواية في حديث الاستئذان حتى يشهد اثنان فأكثر بأنهما سمعاه وكذلك عدم عمل عائشة رضي الله عنها بحديث «إذا استيقظ أحدكم من نومه» لأنها لا تحتج بحديث أحادي. وهو بهذا القول يصيرا مطابقا لعقيدة المعتزلة لأن المعتزلة يردون خبر الواحد في العقيدة والأحكام. وهذا ما يجعلني أؤكد بأن هذا الرجل يجمع من غير وعي ولا فقه.

وأذا ثبت تثبت الصحابة من خبر الواحد في الأحكام كقصة الاستئذان المروي عن عمر وأبي موسى الأشعري وعدم قبول أبي بكر ميراث الجدة من المغيرة بن شعبة حتى يشهد معه محمد بن مسلمة. ولم يثبت عن أحد منهم طلب التواتر في العقائد كان الأمر حجة عليكم. ولزمكم أن تردوا خبر الواحد في الأحكام وتأخذوا به في العقائد لأنه الثابت المروي عن السلف بالأسانيد الصحيحة.

أمر آخر: وهو أن أبا بكر طلب شاهداً آخر ولم يشترط تواتر الرواية أو الزيادة عليهما، وهذا يجعل الرواة اثنين، ورواية الاثنين عندكم لا يزال الخبر بها واحداً : لا تصير به الرواية قطعية. فقد اشترط بعضكم أن يكون الرواة سبعة فما فوق وبعضكم عشرين وبعضكم أربعين راو حتى تصير الرواية متواترة وتصبح مقطوعاً بها. فهذه الروايات تثبت مخالفتكم لعمل الصحابة.

● وزعم (ص ١٥) أن إرسال النبي ﷺ آحاد الصحابة إنما كان « لتبليغ الرسالة الى الملوك إنما كان لتبليغ الرسالة، والتبليغ من الأحكام الشرعية ». وهذا كذب ولا شك، فإن النبي ﷺ كان يدعوهم لقبول التوحيد ونبد الشرك والكفر وهذا متعلق بأصول الاسلام. ومثله: قول حزب التحرير « الرسول كان يرسل آحاد الصحابة الى المدن والندول ليبلغ رسالة الاسلام.

وهذا باعتراف حزب التحرير الذي قال « النبي ﷺ بعث في وقت واحد اثني عشر رسولا الى اثني عشر ملكا يدعوهم الى الاسلام، وكان كل رسول واحدا في الجهة التي أرسل اليها، فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد لما اكتفى الرسول ﷺ بإرسال واحد للتبليغ، وقد انعقد إجماع الصحابة على العمل بخبر الواحد في الأحكام الشرعية » ولما أرسل معاذ بن جبل، وكان أرسل جماعات».

والكذب واضح في العبارة الأخيرة من الفقرة حيث افتري الحزب على السلف ونسب اليهم تخصيص شيء لم يخصصوه، فزعم أنهم كانوا يأخذون بخبر الواحد في الأحكام الشرعية دون العقائد. ويطلبه قول النبي لمعاذ لما أراد إرساله إلى اليمن للدعوة هناك «إني أتيت قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه لا اله الا الله» فمعاذ واحد، والنبي أمره أن تكون أول دعوته في العقائد.

كيف يوجه بكري كلام ابن تيمية

ومن تلييسات عمر بكري زعمه أن ابن تيمية لا يقبل حديثاً متواتراً إلا ما أجمعت الأمة على قبوله. وهذا كذب آخر على لسان ابن تيمية الذي حكى أجماع جمهور الأمة على قبول خبر الواحد الثقة. بل واجماعهم على قبول ما في الصحيحين حيث قال «أن مما أجمعت الأمة على صحته: أحاديث البخاري ومسلم»^١.

أما موقفه من خبر الواحد من غير الصحيحين فقال «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالاسفراييني وابن فورك وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظن، لكن لما اقترن به أجماع أهل العلم بالحديث على تلقينه بالتصديق كان بمنزلة أجماع أهل العلم بالفقه على حكم، مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد فإن ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور، وإن كان بدون أجماع غير قطعي لأن الأجماع معصوم»^٢.

قال «فلفظ المتواتر يراد به معان: إذ المقصود من المتواتر ما يفيد العلم، لكن من الناس من لا يسمي متواتراً إلا ما رواه عدد كثير يكون العلم حاصلًا بكثرة عددهم فقط، ويقولون: إن كل عدد أفاد العلم في قضية أفاد مثل ذلك العلم في كل قضية. وهذا قول ضعيف والصحيح ما عليه الأكثرون: أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم، وقد يحصل بقرائن تحتمل بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك، وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة»^٣. قال أيضاً:

^١ - مجموع الفتاوى ١٨ : ١٦

^٢ - مجموع الفتاوى ٤٨/١٨ و ٧٠.

^٣ - مجموع الفتاوى ٤٨/١٨

« وأما عدد ما يحصل به التواتر فمن الناس من جعل له عدداً محصوراً، ثم يفرق هؤلاء، فقليل: أكثر من أربعة وقيل اثنا عشر وقيل أربعون. وقيل سبعون. وقيل ثلاثمائة وثلاثة عشر. وقيل غير ذلك. وكل هذه الأقوال باطلة لتكافئها في الدعوى». أضاف:

« والصحيح الذي عليه الجمهور: أن التواتر ليس له عدد محصور، والعلم الحاصل بخبر من الأخبار يحصل في القلب ضرورة، كما يحصل الشيع عقيب الأكل والري عند الشرب.

وليس لما يشبع كل واحد ويرويه قدر معين بل قد يكون الشيع لكثرة الطعام وقد يكون لجودته كاللحم وقد يكون لاستغناء الأكل بقليله وقد يكون لاستغلال الأكل بقليله وقد يكون لاستغلال نفسه بفرح أو غضب أو حزن. كذلك العلم الحاصل عقيب الخبر تارة يكون لكثرة المخبرين وإذا كثروا فقد يفيد خبرهم العلم، وإن كانوا كفاراً، وتارة يكون لديهم وضبطهم، وتارة يحصل العلم بكون كل من المخبرين أخبر بمثل ما أخبر به الآخر مع العلم بأنهما لم يتواطأ، وأنه يمتنع في العادة الاتفاق في مثل ذلك... وتارة يحصل العلم بالخبر لمن عنده الفطنة والذكاء والعلم بأحوال المخبرين وبما أخبروا به ما ليس لمن ليس له مثل ذلك...».

« وإذا عرف أن العلم بأخبار المخبرين له أسباب غير مجرد العدد علم أن من قيد العلم بعدد معين وسوى بين جميع الأخبار فقد غلط غلطاً مبيناً»^١ فإن الرواة قد يكونون من أجلاء الأئمة الثقات، وعدول نقله الأخبار المشهورين، فيحصل اليقين بما أخبروا به وإن قل عددهم، وقد تحبف بخبرهم قرائن ظاهرة فتزداد الثقة بصدقهم أو ضد ذلك».

« ولا يخفى تفاوت الناس في الفهم والادراك، فكم من عدد قليل يحصل العلم بخبرهم لما اقترن به من عدالتهم ودينهم واطمئنان النفس

الى ما نقلوه ولما اشتهر من علمهم وثبتهم، مع أن مثلهم أو أكثر منهم لا يحصل العلم بخبرهم لفقد تلك الصفات التي اُقررت بخبر الأولين».

فهذا الكلام من شيخ الاسلام يدل على أن إفادة الخبر للعلم أمر نسبي وليس بالضرورة منوطاً بعدد الرواة، ويجب التسليم في معرفة تواتر الأخبار لعلماء الحديث كما يجب التسليم في معرفة الأحكام المجمع عليها لأن أهل الإجماع هم العلماء.

قال « التواتر ينقسم الى عام وخاص، فأهل العلم بالحديث والفقهاء قد تواتر عندهم من السنة ما لم يتواتر عند العامة كسجود السهو ووجوب الشفعة وحمل العاقلة العقل ورجم الزاني المحصن.

وإذا كان الخبر قد تواتر عند قوم دون قوم فقد يحصل العلم بصدقه لقوم دون قوم. فإلله عزم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة. فكما أن من لا يعرف أدلة الأحكام لا يعتد بقوله فمن لا يعرف طرق العلم بصحة الحديث لا يعتد بقوله بل على كل من ليس بعالم أن يتبع إجماع أهل العلم»^١.

وهذا الذي قاله ابن تيمية هو عين ما قاله السبكي فيما حكاه المرتضى الزبيدي في (شرح الاحياء ١٧٤/٧) أنه « ربه متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين » قال الزبيدي « وتبعه العلماء على ذلك ».

وقال ابن القيم « ومن هذا اخبار الصحابة بعضهم بعضاً فاتهم كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول الله ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر ».

^١ - مجموع الفتاوى ٥١/١٨.

^٢ - الصواعق المرسلة ٣٦١/١.

أقوال أخرى لعامة الأئمة في خبر الواحد

ونختتم هذا الفصل بأقوال جملة من الأئمة وأهل العلم حول خبر الواحد^١.

● قال الخطيب في (الكفاية ص ٣١) « وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه ».

● الإمام مالك: قال ابن عبد البر في (التمهيد ١/٧-٨) « وقال قوم كثير من أهل الأثر ... أنه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعاً، منهم الحسين الكرابيسي وغيره، وذكر ابن خويزمنداد أن هذا القول يخرج على مذهب مالك ».

● الإمام الشافعي: وأتى الشافعي في (الرسالة ص ٤٠١-٤٥٨) تحت عنوان: الحجة في تثبيت خبر الواحد بأدلة كثيرة تثبت حجية خبر الواحد والرد على من طعنوا في حجيته، ومعلوم أن أهل الكلام الجهمية في عصره أرادوا من إنكار حجية خبر الواحد رد أحاديث تتعلق بالصفات الإلهية، وقد جرى على أصولهم كثيرون ممن ينتمون اليوم إلى السنة. وليس جائزاً أن ينسب للشافعي رحمه الله قولاً ما لم يصرح به. إذ أن أدلة الشافعي عامة فيجب حمل كلامه على العموم.

ومما يؤكد حجية خبر الواحد الثقة بعموم الدين: أنه ذكر في الرسالة (ص ٢٤٢) قصة سعيد بن جبير في تكذيب ابن عباس لنوف البكالي « أخبرنا سفيان عن عمرو عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أن نواف البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بن إسرائيل فقال ابن عباس: كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب قال: خطبنا رسول

^١ - هذا الفصل مستفاد من كتاب الأدلة والشواهد للشيخ سليم الهلالي حفظه الله.

الله ﷺ [أخرجه الشيخان وغيرهما مطولاً] ثم ذكر حديث موسى والخضر شيء يدل على أن موسى صاحب الخضر....».

ثم قال الشافعي « فابن عباس مع فقهه وورعه يثبت خبر أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ حتى يكذب به امرءاً من المسلمين إذ حدثه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ بما فيه دلالة على أن موسى بنى إسرائيل صاحب الخضر. ».

وهذا القول من الإمام الشافعي دليل على أنه لا يرى التفريق بين العقيدة والعمل في الاحتجاج بخبر الأحاد لأن كون موسى عليه السلام هو صاحب الخضر في مسألة علمية وليست حكماً عملياً كما هو بين.

● الإمام أحمد: وورد عن الإمام أحمد روايتان في شأن خبر الواحد:

الرواية الأولى: رواية أبي بكر الأثرم طعن فيها ابن القيم قائلًا « وأما رواية الأثرم عن أحمد أنه لا يشهد على رسول الله ﷺ بالخير ويعمل به فهذه رواية انفرد بها الأثرم وليست في مسائله ولا في كتاب السنة وإنما حكاها القاضي أنه وجدها في كتاب معاني الحديث، والأثرم لم يذكر أنه سمع ذلك منه بل لعله بلغه من عند واهم وهم عليه وفي لفظه فلم يرو عنه أحد من أصحابه ذلك بل المروي الصحيح أنه جزم على الشهادة للعشرة بالجنة والخبر في ذلك خبر واحد ».

الرواية الثانية: عن المروزي قال « قلت لأبي عبد الله ما هنا إنسان يقول أن الخبر يوجب عملاً ولا يوجب علماً فعابه وقال ما أبري ما هذا. » وهذه الرواية فيها تصريح أن المروزي سمعها من أحمد بن حنبل وتلقاها علماء المذهب بالقبول وبعضهم أولها والتأويل فرع القبول.

وجدير بالذكر أن كتاب "الرد على الجهمية والزنادقة" للإمام أحمد مشحون بالاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد. وقد أقر الحافظ ابن حجر بنسبة الكتاب إلى أحمد كما في الفتح (٤٩٣/١٣).

● الإمام ابن حزم: قال « قال أبو سليمان والحسين بن علي الكرابيسي والحاتث بن أسد المحاسبي وغيرهم: أن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معاً، وبهذا نقول » وأطال في الانتصار لقوله حتى قال « وإذا صح هذا فقد ثبت يقيناً أن خبر العدل عن مثله مبلغاً إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به موجب للعمل والعلم معاً ». وقد جزم الشيخ أحمد شاكر به فقال « والذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله من أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء أكان في الصحيحين أم في غيرهما » (الباعث الحديث ٣٧).

● ابن تيمية: قال « ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بانقبول فعملوا به، فهذا يفيد العلم ويجزم بأنه صدق. ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة أحاديث الكتابين... فإجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كإجماع الفقهاء على أن هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب وإذا أجمع أهل العلم على شيء فساتر الأمة تبع لهم فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يجتمعوا على خطأ ».

● السفاريني: قال «ويُعمل بخبر الواحد في أصول الدين» (لوامع الأكوار البهية ١/١٩).

١ - الأحكام ١١٩/١-١٢٤

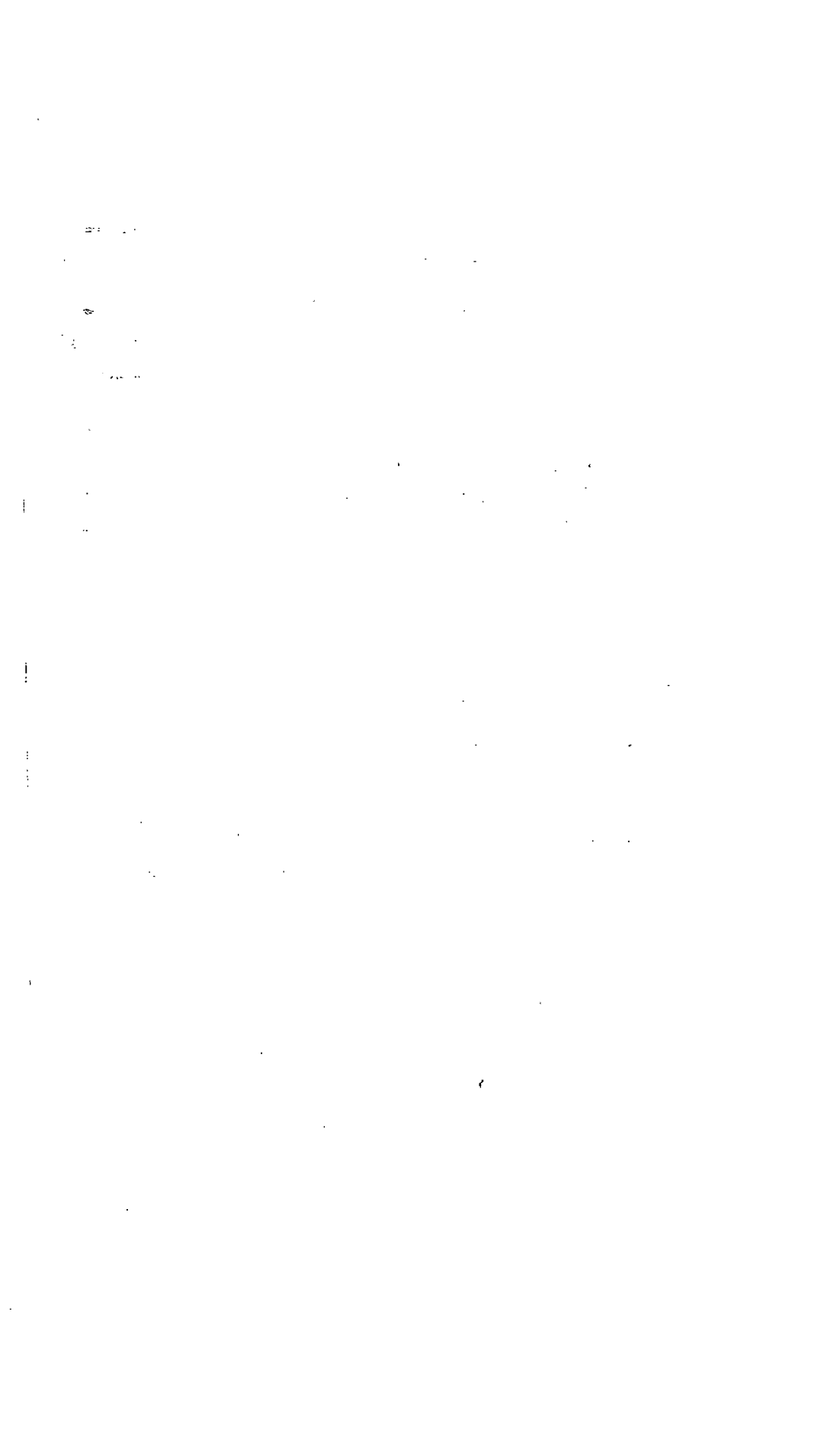
٢ - مجموع الفتاوى ١٦/١٧-١٨

● الحافظ ابن حجر العسقلاني: قال: «وقد يقع فيها [أي في أنواع خبر الواحد من مشهور وعزيز وغريب] ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار خلافاً لمن أبي ذلك» (تزمة النظر شرح نخبة الفكر ص ٢٦-٢٧).

● الحافظ ابن عبد البر: قال: «الذي نقول به: أنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده على ذلك جماعة أهل السنة»^١.

فمع أنه رجح أنه يفيد العمل دون العلم حكى الإجماع على الأخذ بخبر الواحد العدل في الاعتقادات. ونحن نتفق معه في أنه لا يفيد العلم ولكن ليس باضطراد فإنه يفيد العلم باحتفاف القرائن كما رجحه كثير من أهل العلم كالحافظ ابن حجر في التكت (٣٧١/١-٣٧٤) وشرح نخبة الفكر (ص ٩) وهو قول الكرابيسي ومالك فيما رواه عنه ابن خويز منداد.

وقال في جامع بيان العلم (٩٦/٢) «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم نه ولا يناظر فيه» انتهى.



موقف التحريريين من عذاب القبر

وزعم عمر بكري فستق (مفتي حزب التحرير) أن عذاب القبر من المسائل الخلافية بين علماء السلف^١.

وهذا كذب، فإن السلف لم يختلفوا في تثبيت عذاب القبر، وما عرف التشكيك في أخبار عذاب القبر إلا عن المعتزلة ومن سلك مسلكهم.

ذكر الحافظ أن الخلاف حول عذاب القبر وهل هو بالروح أم بالجسد « فيه خلاف شهير عند المتكلمين »^٢ ولم يقل عند السلف.

وقال الشيخ ملا علي قاري شارح الفقه الأكبر لأبي حنيفة « وفي المسألة خلاف بين المعتزلة وبعض الرافضة »^٣.

وما ورد في كتب التفسير من الاختلاف إنما هو في دلالة بعض الآيات على عذاب القبر كقوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا) فلا يلتبس هذا الأمر على النجيب.

ونحن نطالبه أن يأتي بمخالف واحد من السلف طعن في عذاب القبر أو قال إنه لا يجوز الإيمان به.

قال عمر بكري « أنا أحثكم على التصديق بعذاب القبر وبمجيء المهدي ولكن من آمن بذلك فهو أثم ». وهذا سخرية وتلاعب بدين الله، كيف يكون المؤمن بعذاب القبر مأجوراً مأزوراً في نفس المسألة!

١ - مسألة في عذاب القبر وسؤال القبر ١.

٢ - فتح الباري ١٨٢/٣.

٣ - شرح الفقه الأكبر ص ٨٣.

ان هؤلاء اذا أمسكوا بالخلافة فلن يحكموا الشريعة لأنهم يراوغون ويخادعون لإثبات ما ورثوه من منهج الحزب فالاسلام الذي سيحكمونه سيكون مقتصرًا على ما رآه حزبهم فقط. فكيف ينصرهم الله على من لا يحكمون الشريعة الاسلامية. بل أخشى أن يكون فقدان الخلافة لعدم كفاءة من يدعون الآخرين اليها.

أقوال أهل العلم في عذاب القبر

• قال الامام أحمد في العقيدة التي رواها عنه أبو الفضل التميمي « وأن الله يعذب قوماً في قبورهم »^١

• وقال أبو حنيفة في الفقه الأكبر « وسؤال منكر ونكير في القبر حق، وضغطة القبر حق وعذابه حق كائن لكل الكفار وبعض المسلمين »^٢.

وهذا الكلام من أبي حنيفة وغيره مندرج في سياق ما يجب على المؤمن الايمان به، فهي عقيدة ثابتة عنده.

وقد علق الشيخ ملا علي قاري الحنفي على كلام أبي حنيفة قائلاً: « أي واقع، وإخياره عليه السلام بعذابه صدق، ففي الصحيحين: «عذاب القبر حق»، ومر عليه السلام على قبرين فقال «إنهما ليعذبان» وقد نزل فيه قوله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة» أي في القبر كما في الصحيحين وغيرهما.

وقال « وفي جواهر الفقه: من أكرر الأهوال عند النزح والقبر والقيامة والميزان والصراط والجنة والنار كفر »^٣. هذا مع أن عذاب القبر مبني عندهم على جملة من أخبار الواحد.

١ - طبقات الحنابلة ٢/٣٠٣.

٢ - الفقه الأكبر ٨١-٨٢.

٣ - الفقه الأكبر ١٣٩.

أقوال الماتريدية في عذاب القبر

• قال الحكيم السمرقندي « من أنكر عذاب القبر فانه ضال مبتدع » واحتج بقوله تعالى ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ [غافر ٤٦] ^١.

• قال الامام النسفي « وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين، وتنعيم أهل الطاعة في القبر بما يعلمه الله ويريده، وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية قال تعالى ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ ^٢ ».

• وقال الناصري « وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وهو مذهب أهل السنة والجماعة (يعني الماتريدية) فيجب الاعتقاد بثبوت ذلك » ^٣.

وقال البيهقي « والأخبار في عذاب القبر كثيرة وقد أفردنا لها كتاباً مشتملاً على ما ورد فيها من الكتاب والسنة والآثار، وقد استعاذ منه رسول الله وأمر أمته بالاستعانة منه... وجاءت به السنن وظهرت على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين » ^٤.

١ - سلام الأحكم : ص ٦٧.

٢ - شرح العقائد النسفية ص ١٢٦ العقائد العضدية ٢ : ٢٧٣.

٣ - النور اللامع ١١٠.

٤ - الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ٢٢٤.

وقد أخرج البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر» هذا أحاديث تسعة وثلاثين صحابيا. وأما ما في سنن حزب التحرير وما يظهر على السنة أعضائه فهو التحذير من الايمان بعذاب القبر. وللقراطي رسالة بعنوان «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» أثبت فيها عذاب القبر.

• وقال عبد القاهر البغدادي الأشعري «أجمع المسلمون على أن عذاب القبر حق وأن من أنكر عذاب القبر يعذب في قبره وذلك لأنه يكون شاذا عن جماعة المسلمين ومن شد شد في النار».

• وقال «وَأَثْبَتُوا الْحَشْرَ مِنَ الْقُبُورِ مَعَ اثْبَاتِ السُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ»^١.

وهذا يبطل ادعاء بكري أن السلف اختلفوا في عذاب القبر.

واجماع الأمة هدى لقول النبي ﷺ « لا تجتمع أمّتي على ضلالة» مع أن تقي الدين النبهاني يزعم أنه لا يستحيل عقلا أن يجمع الصحابة كلهم على خطأ يظنونه حقا^٢ مع أنه لا يجوز شرعا، وهذا تناقض.

إذن يمكن أيضا لحزب التحرير أن يكون مجمعا على ضلالة يظنها هدى. أيجوز عقلا أن يجمع الصحابة على ضلالة ولا يجوز مثل ذلك للنبهاني وحزبه؟

وإذا كان يستحيل أن تجتمع الأمة على ضلالة فمخالف ما أجمعوا عليه ضال بعد العلم والاصرار: هو ضال مضل قال تعالى (ومن يشاقق

الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساعت مصيرا).

١ - الفرق بين الفرق ٣٠١.

٢ - الشخصية الاسلامية ٢٩٧/٣.

فأهل العلم لم يختلفوا في إثبات عذاب القبر اللهم الا الجهمية
والمعتزلة وهؤلاء ليسوا من سلفنا واتما سلفهم. واتما وقع اختلاف في
دلالة الآيات على عذاب القبر. فأوهم بكري الناس بأنه اختلاف على
أثباته أصلا. فتنبه لهذا المكر والتلبيس.

أخبار عذاب القبر متواترة

• قال الحافظ ابن رجب « وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في القبر والتعوذ منه »^١.

• وقال الكتاني في (نظم المتناثر ص ٨٤) « وقد روى عذاب القبر اثنان وثلاثون صحابيا ».

• وقال الجويني « وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله بربه من عذاب القبر » واحتج بقوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) قال « وهذا نص في إثبات عذاب القبر ». وقال القول ذاته في أخبار الميزان وصفته^٢.

• وجعل عبد القاهر البغدادي أحاديث عذاب القبر من الأحاديث المتواترة من أنواع المستفيض الذي رواه أول الأمر رواة ثقات ثم انتشر بعدهم رواه في الأعصار حتى بلغوا حد التواتر^٣.

• وللسيوطي رسالة بعنوان « شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور » ذكر فيها أحاديث متواترة في عذاب القبر.

• وقال القرطبي « الايمان بعذاب القبر وفنتته واجب، والتصديق به لازم حسبما أخبر به الصادق. وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه أهل الملّة »^٤.

١ - من أهوال القبور ٤٣ و ٥٠ و ٥٨.

٢ - الإرشاد للجويني ٣٧٤-٣٧٥.

٣ - أصول الدين ١٣.

٤ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١٣٧.

أضاف « وأنكرت » الملاحدة» ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة «^١.

• وقال « صحت الأخبار عن النبي ﷺ في عذاب القبر فلا مطعن فيها ولا معارض لها «^٢.

ونقل القرطبي ما ذكره الحافظ ابن عبد البر في التمهيد عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه أنه قال « سيكون أقوام من هذه الأمة يكذبون ... بعذاب القبر »^٣.

١ - التذكرة ١٣٩.

٢ - التذكرة ١٦٦.

٣ - التذكرة ١٤٧ أخرجه أحمد ٢٣/١ وعبد الرزاق في المصنف ٦٧٥١ و ٢٠٨٦٠ والبيهقي في البعث والنشور ص ١٢٩، والأجري في الشريعة ص ٣٢٩ و ٢٣٠ من طريق علي ابن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: « قام فينا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين » وذكره.

تلاعب عمر بكري بالسنة

وقد أخذ عمر بكري يتلاعب بنصوص السنة قائلا « فقوله ﷺ » هذان يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الثاني فكان يمشي بالنميمة» قال: هذا الحديث يدل على الترغيب في الاستبراء والترهيب من النميمة^١. هكذا انتهى.

ولم يقل هذا الحديث يدل على وقوع عذاب القبر فنعوذ بالله من اتباع الهوى. ومثل هذا الضلال والمكر بالعوام العجم والدخول عليهم من باب المذهب الحنفي لا يقرب الخلافة التي ينشدونها بل يزيدها بعدا. بل ربما كان هذا التلاعب هو السبب في عدم التمكين من الخلافة.

١ - مسألة في عذاب القبر وسؤال القبر ١٠.

الأشعري يحكي الاجماع على الايمان بعذاب القبر

قال في رسالته الى أهل الثغر « وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يسئلون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها فيثبت الله من أحب»^١. وهذا يحكيه الأشعري من جملة ما يجب على المؤمن الايمان به ويعتقده.

قال الغزالي في الاحياء « وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يقبل ايمان عبده حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير.. وسؤالهما أول فتنه بعد الموت، وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق وحكمة وعدل».

وعلق المرتضى الزبيدي الحنفي الزبيدي شارح الاحياء « يجب اعتقاد أن السؤال في القبر حق. بعد تمام الدفن»^٢.

وعلق على قول الغزالي «عذاب القبر قد ورد الشرع به» قائلا « قرآن وسنة وأجمع عليه علماء الأمة قبل ظهور البدع (فيجب التصديق به) لأن الشرع شهد به (ولا نمنع من التصديق به) والايمان بثبوته».

فهذا انريبيدي يحكي الاجماع على التصديق والايمان به وليس التصديق من غير ايمان كما زعم بكري.

١ - رسالة الى أهل الثغر ص ٨٨ - ٨٩ ط: دار اللواء.

٢ - اتحاف السادة المتقين شرح الاحياء ٢٦/٢ - ٢٧ وانظر ٢/ ٢١٨.

شهادة أشعريّة

أن انكار عذاب القبر عقيدة خوارج معتزلية

قال الأشعري «واختلفوا في منكر ونكير هل يأتيان الإنسان في قبره فأنكر ذلك كثير من أهل الأهواء وثبته أهل الاستقامة. ^١ قال « والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا ترى أن أحدا يعذب في قبره» ^٢ وذكر ابن حزم أن إنكار عذاب القبر هو قول من لقي من الخوارج ^٣.

فالامام ابو الحسن الأشعري وهو الإمام الواجب الاتباع عند هؤلاء شهد بأن المعتزلة والخوارج أنكروا عذاب القبر ^٤.

وقد شرع الأشعري يحكي جملة من اعتقادات أهل الحديث والسنة. ومنها « ويقرون بعذاب القبر » ^٥.

ونكر الامام الاسفراييني جملة من الأدلة على عقيدة أهل السنة في عذاب القبر وانتهى الي أنه لا ينكر عذاب القبر واحياء الموتى فيه الا من ينكر قدرة الله ^٦. قال « أنكرت ذلك [سؤال الملكين] الجهمية وأنكرت أكثر الضرارية. وزعم بعض القدرية أن سؤال الملكين في القبر إنما يكون بين النفختين في الصور وحينئذ يكون عذاب قوم في القبر» كذا قال عبد القاهر البغدادي الأشعري ^٧.

١ - مقالات الاسلاميين ص ٤٧٣.

٢ - مقالات الاسلاميين ص ١٢٧.

٣ - الفصل لابن حزم ٦٦/٤

٤ - مقالات الاسلاميين ١١٦/٢.

٥ - مقالات الاسلاميين ٢٩٣.

٦ - التبصير في الدين لأبي بكر الاسفراييني ١٧٦ تحقيق كمال الحوت.

٧ - التبصير في الدين للاسفراييني ٣٤٥ أصول الدين ٢٤٥ للبغدادى.

وقال ابو سعيد النيسابوري « وأنكرت المعتزلة [عذاب القبر] وقالوا لا عذاب في القبر ولا سؤال.. وقد ورد به السمع فلا بد من اتباعه. قال تعالى (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهو العذاب قبل الحشر لأن الله تعالى أخبر عما يكون يوم القيامة من حالهم (ويوم تقوم الساعة: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقد تواترت الأخبار باستعادة الرسول ﷺ من عذاب القبر»^١.

شهادة من الفقه الأكبر أبي حنيفة

جاء في الفقه الأكبر « وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر واعادة الروح الى جسد العبد في قبره حق. وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم وبعض عصاة المؤمنين»^٢.

علق الشيخ ملا علي قاري على قول أبي حنيفة « أي جسده بجميع أجزائه أو ببعضها مجتمعة أو متفرقة والواو لمجرد الجمعية، فلا ينافي أن السؤال بعد اعادة الروح وكما الحال فيقول المؤمن ربي الله ودينني الاسلام ونبيي محمد ﷺ ويقول الكافر هاه هاه لا أدري. رواه أبو داود وأصله في الصحيحين، وفي المسألة خلاف بين المعتزلة وبعض الرافضة. وقد وردت الأحاديث المتظاهرة واستوفاهما شيخ مشايخنا الجلال السيوطي في كتابه المسمى بشرح الصدور في أحوال الموتى والقبور وفي كتابه الآخر المسمى بالبدور السافرة في أحوال الآخرة».

١ - الغنية في أصول الدين ص ١٦٣. ط مؤسسة الكتب الثقافية.

٢ - الفقه الأكبر ص ٨٢ بشرح ملا علي القاري رحمه الله.

وإذا كان العذاب حقاً كما صرح به الرسول ثم أئمة أهل العلم كأبي حنيفة فلماذا نتخذ موقفاً متذبذباً فنقول: نصدق ولا نؤمن؟

إذا كنا نؤمن بعذاب القبر حقاً فإيماننا يكون عن علم لا عن ظن واحتمال وشك. قال تعالى ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به﴾ ﴿وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق﴾ فلماذا يتقنب هؤلاء في الأدعان للحق (يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) فلماذا بعد الحق إلا الضلال!.

يا أيها الذين آمنوا: لا تؤمنوا بعذاب القبر!

وقد زعم بكري أنه يجب التصديق بعذاب القبر ولكن لا يجوز الايمان بعذاب القبر.

وهذه كذبة أخرى فأنه لم يقل احد من السلف يجب أن تصدق بعذاب القبر ولكن يحرم عليك أن تؤمن به.

وسمعه يقول في محاضرة له مسجلة عندي بصوته « أنا أحثكم على التصديق بعذاب القبر عليكم أن تستعينوا بالله من عذاب القبر كما فعل النبي ﷺ حين قال « استعينوا بالله من عذاب القبر » ولكن من آمن منكم بعذاب القبر فهو آثم. أحثكم على التصديق بمجيء المهدي ولكن من آمن بالمهدي فهو آثم ».

فالتصديق الذي يدعو اليه تصديق يخالطه شك وليس تصديقاً وإنما تذبذب بل هو فلسفة عجيبة متهافة متناقضة لا تروج الا على البسطاء من العجم، وقد اشتهرت بعد ذلك مقولته بينهم بالانجليزية:

WE TRUST BUT WE DO NOT BELEIVE

مقلداً بذلك المعتزلة الذين جعلوا بين الايمان والكفر مرحلة وسطاً أسموها بـ (المنزلة بين المنزلتين).

وقد كذب القرآن واللغة العربية بل وحتى اللغة الانجليزية:

• أما القرآن فيقول تعالى ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾ (والذين يصدقون بيوم الدين) فأطلق التصديق على الايمان الواجب.

• وأما اللغة العربية فالتصديق أحد معاني الايمان. لا يوجد في اللغة معنى للتصديق مستقل عن معنى الايمان.

• وحتى اللغة الانجليزية فانها لا تتفق معه: وأقرب دليل نطلعه عليه أن يقرأ المكتوب على أحد الدولارات العبارة التالية:

IN GOD WE TRUST

قاله الذي يدعونا لنؤمن لم يأمرنا أن نصدق بشيء ينهانا في نفس الوقت أن نؤمن به، لم يأمرنا أن نصدق تصديقاً من غير ايمان. هذه مهزلة بل خدعة وليست عقيدة.

بل الله يأمرنا أن نؤمن به من غير شك. فقال «أما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا» وهؤلاء يزعمون أنهم آمنوا وهم يشكون في أكثر أحاديث السنة فإن أكثرها من الآحاد وليس من المتواتر. يقولون: حرام علينا أن نؤمن بعذاب القبر، ولكن واجب علينا أن نصدق بعذاب القبر، فإن آمنا فنحن آثمون وإن لم نصدق فنحن آثمون؟!!

إن هؤلاء ييئون الشك في القلوب بجعلهم بين الايمان والكفر مرحلة وسطاً أسموها (المنزلة بين المنزلتين) وهي عقيدة اعتزالية في قالب جديد، حيث يجعلون التصديق منزلة بين منزلة الايمان بعذاب القبر وبين منزلة التكذيب بعذاب القبر. ولقد قال المعتزلة من قبل: لا نقول إن مرتكب الكبيرة كافر ولا فاسق وإنما هو في منزلة بين المنزلتين.

إن هؤلاء يشكون في كتاب الله فقد سمعت العديد من التحريريين يقولون: ما من آية من كتاب الله الا وقد اختلف فيها.

ويشككون في غالب أحاديث رسول الله فيأمرونا أن لا نؤمن بأكثر أحاديث البخاري ومسلم لأن أكثرها من أخبار الآحاد التي لا نستطيع القطع بصحة أسانيدھا ولو كانت في البخاري ومسلم.

إن كان حقاً وجب الإيمان به!!

واعجب ممن قال: هو حق ولكني لا أؤمن به ويجعل من نفسه شهيدا على نفسه أنه لا يؤمن بما شهد أنه حق، ثم يقول أنا أصدق ولكن لا أؤمن؟! فلا يجوز لك أن تصدق ما لا تؤمن به والا كنت متناقضا. فبان ثبت أنه حق وجب الإيمان به.

ومن زعم أن التصديق الاعتقادي مخالف للإيمان الاعتقادي فهو جاهل متناقض يؤول قوله في نهاية المطاف الى موافقة قول المعتزلة: لا تؤمن بعذاب القبر.

وهو في الحقيقة موافق لهم غير أنه يخشى ان يتهم بالزندقة ففضل المراوغة وأن يقول: نصدق بعذاب القبر ولكن لا نؤمن بعذاب القبر.

وقد حددوا الفرق بين الإيمان والتصديق أن الإيمان تصديق جازم يورث طمأنينة القلب ولكن التصديق أقل من ذلك. وأي تصديق بمسأله اعتقادية هو جزم بوجودها.

فمن زعم أن التصديق الاعتقادي مخالف للإيمان الاعتقادي أو أقل منه فهو جاهل متناقض، والا فماذا عساهم أن يقولوا لمن قال لهم: أنا لا أؤمن أنه لا إله الا الله مع أنني أصدق أنه لا إله الا الله؟

ولعلمهم لم يتدبروا قول ابراهيم (أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي). فها هو ابراهيم يقول آمنت. ولكن أريد الاطمئنان.

فهؤلاء مفسدون من حيث يظنون أنهم مصلحون (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

عقلانية غير معقولة !!

مقولتهم هذه لا يستسيغها عقل سليم مع أن القوم يقدمون العقل على النقل إذا عارض الدليل القرآني عقولهم كما قال النبهاني..

وهؤلاء لا يقول أحدهم: إذا تعارض قول النبهاني مع عقلي قدمت عقلي على قوله ولكنه يتجرأ على كلام ربه ويقول: إذا تعارض دليلي مع عقلي قدمت عقلي.

وهم يحرمون على الناس أن يحتجوا على الكفار بالقرآن وإنما يكون الاحتجاج عندهم بالعقل. يشكون ويشككون في كتاب الله فيقولون ما من آية من كتاب الله إلا وقد اختلف فيها.

فهم يثقون بالعقل أكثر من ثقتهم بنصوص الكتاب والسنة. وغاتهم أن العقول مختلفة فيما بينها فالفرق والميل كثيرة كل واحدة تعقل ما تعتبره الأخرى من مستحيلات العقول. فإذا اختلفت عقولنا فإلى من نتحاكم؟

فالعقل خادم للشرع وليس سيداً له. وهو تابع للشرع وليس متبوعاً، فالعقل من دون نور الله (شرعه) كمن له عينان لا يستطيع الرؤية بهما لعدم وجود النور. وشرع الله هو النور للعين والقلب.

العذاب للروح والجسد معا

وزعم أن ابن القيم يرى أن العذاب في القبر للروح دون الجسد فلما سئل عن الدليل من كتب ابن القيم قال « قاله في زاد المعاد » فلما طوِّب بتحديد الرقم والصفحة من الكتاب اعتذر بأن الكتاب غير موجود عنده ووعد أن يأتي به ثم بعد ذلك لم يفعل.

وأنا أذكر من كلام ابن القيم ما يكشف فريته، قال « ذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وجسده »^١.

وفي الفقه الأكبر « واعادة الروح الى جسد العبد في قبره حتى وضغطة القبر وعذابه حتى كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين »^٢.

وقال القرطبي في التذكرة (١٣٨) « وقد قيل ان العذاب للروح دون الجسد. وما ذكرناه لك أولا هو الأصح » وقال « الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر ». قال الحافظ « وذهب ابن حزم وابن هبيرة الى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود الى الجسد وخالفهم الجمهور فقالوا: تعاد الروح والجسد »^٣.

وقال « لم يتعرض المصنف [البخاري] في الترجمة لكون عذاب القبر يقع على الروح فقط أو عليها وعلى الجسد، وفيه خلاف شهير » عند المتكلمين « وكأنه تركه لأن الأدلة التي يرضاها ليست قاطعة في أحد الأمرين، فلم يتخذ الحكم في ذلك واكتفى بإثبات وجوده، خلافا لمن نفاه مطلقا من الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسي

١ - كتاب الروح ص ٧٦.

٢ - الفقه الأكبر ص ٨٢ بشرح ملا علي القاري رحمه الله.

٣ - فتح الباري ١٨٢/٣.

ومن وافقهما. وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم، وأكثروا من الاحتجاج له.

وذهب بعض المعتزلة كالجبائي إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين وبعض الأحاديث الآتية ترد عليهم أيضا. وكان المصنف قدم ذكر الآيات لينبه على ثبوت ذكره في القرآن خلافا لمن رده وزعم أنه لم يرد ذكره إلا من أخبار الآحاد.

وقال « وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور كقوله «إنه ليسمع خفق نعالهم» وقوله «تختلف أضلاعه لضمة القبر» وقوله «يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق» وقوله «يضرب بين أذنيه» وقوله «فيقعداته» وكل ذلك من صفات الأجساد.

لماذا يرفضون اعتقاد عذاب القبر؟

(١) إن التفريق بين العقائد والأحكام أدى إلى هذا التشويش وإلى الادعاء بأن الأخذ بخير الواحد حرام في العقائد واجب في الأحكام، يأتي من يأخذ به في العقائد ويأتى من لا يأخذ به في الأحكام! فاعتقاد عذاب القبر واجب في الشريعة، ومعلوم أنه إذا أطلق لفظ الشريعة لا يراد به الأحكام دون العقائد وإنما شرع الله كله سواء كان في العقائد أو الحلال والحرام.

وبالطبع فإن حزب التحرير حين ينادي بحكام المسلمين بتطبيق الشريعة الإسلامية لا يقصد من ذلك مجرد أحكام الصلاة والصيام ولا يقصدون إخراج العقيدة الإسلامية أو تطبيق أحكام الشريعة دون العقيدة؟ قال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين). وقال رسول الله «من يرد الله

خيرا يفقهه في الدين» وأفضل أنواع التفقه في الدين هو التفقه في علم العقيدة ونجد كتابا منسوباً لأبي حنيفة بعنوان (الفقه الأكبر) أي فقه العقيدة.

(٢) إن كل حكم شرعي يتضمن عقيدة. فالصلاة حكم شرعي ولكن إذا كنت لا تؤمن أن الصلاة واجبة فأنت آثم وإن صليت. وإن رفعت يديك ودعوت الله أن يجبرك من عذاب القبر، فلاعتقادك أنه كائن حقاً وتخالف أن يصيبك في قبرك، فإذا كنت تعتقد أنك آثم إن آمنت بعذاب القبر: أليس يصير تركه أفضل؟

شبهات حول عذاب القبر

وأما استشهاد عمر بكري فستق بقصة عائشة وفيها أن النبي ﷺ أنكر أولاً عذاب القبر وأخبر أنه خاص باليهود فقط ثم عاد وأقره فهذا لا مشكل فيه: بل هو مشكل على من ينفي اجتهاد النبي ثم يحتج باجتهاده ليبيّن عذاب القبر.

قال الحافظ العسقلاني في الفتح « أما حديث عائشة في قصة اليهودية فقد وقع عند مسلم من طريق شهاب عن عروة عن عائشة قالت: دخلت علي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله ﷺ وقال «إنما يفتن يهود» قالت عائشة فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ «هل شعرت أنه أوحى الي أنكم تفتنون في القبور» قالت عائشة: فسمعت رسول الله يستعيز من عذاب القبر».

قال الحافظ « وبين هاتين الروايتين مخالفة لأن في هذه أنه أنكر على اليهودية وفي الأولى أنه أقرها. قال النووي تبعاً للطحاوي وغيره: هما قصتان، فأنكر النبي قول اليهودية في القصة الأولى ثم أعلم بذلك ولم يعلم عائشة فجاءت اليهودية مرة أخرى فذكرت لها ذلك، فأنكرت عليها مستندة إلى الإنكار الأول، فأعلمها أن الوحي نزل بإثباته».

وعند البخاري: باب التعوذ من عذاب القبر من طريق عمرة عن عائشة: أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة النبي ﷺ «أيعذب الناس في قبورهم فقال: عاذًا بالله من ذلك. ثم ركب ذات غداة مركباً، فخسفت الشمس. فذكر الحديث وفي آخره: ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر».

قال الحافظ « فالذي أنكره النبي ﷺ إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين. ثم أعلم أن ذلك قد يقع على من يشاء الله منهم، فجزم به

وحذر منه ويبلغ في الاستعاذة منه، تعليماً لأمته وإرشاداً: فانتفى التعارض بحمد الله»^١ قال «وفي هذا كله أنه ﷺ إنما علم بحكم عذاب القبر أنه هو بالمدينة في آخر الأمر.

قال «وقد استشكل ذلك بأن الآية المتقدمة وهي يثبت الله الذين آمنوا مكية وكذلك الآية الأخرى «النار يعرضون عليها غدواً وعشيا» والجواب أن عذاب القبر إنما يؤخذ من الأولى بطريق المفهوم في حق من لم يتصف بالإيمان. وكذلك بالمنطوق في الأخرى في حق آل فرعون، وإن التحق بهم من كان له حكمهم من الكفار».

ونكر الحافظ جملة مما يستفاد من أحاديث القبر ثم قال «وفي أحاديث الباب من الفوائد: إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين»^٢.

وهذا دليل واضح على أن الحافظ ابن حجر يحتج بأحاديث الآحاد في أمور العقيدة لأنه احتج بهذه الأحاديث على عذاب القبر وقال بأن هذه الأحاديث ترد على المعتزلة.

١ - فتح الباري ٣/ ٢٣٤ - ٢٣٦.

٢ - فتح الباري ٣/ ٢٤٠.

فوائد كلام الحافظ ابن حجر

• أن الاختلاف على عذاب القبر فيه خلاف كبير بين المتكلمين وليس بين أهل السنة أو بين السلف كما زعم عمر بكري.

• أن الخوارج وبعض المعتزلة نفوا عذاب القبر مطلقا كضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما.

• أن أكثر المعتزلة خالفوهم.

• أن جميع أهل السنة خالفوهم. ولم يقل أكثر أهل السنة. مما يدل على حكايته الاجماع بين أئمة هذه الأمة. وهذا يفيد أن الاجماع حاصل بين أهل السنة على إثبات عذاب القبر.

وهذا جواب عن الشبهات التي يثيرها عمر بكري والتي رباه عليها الحزب: ومن هذه الشبهات^١:

١ - مسألة في عذاب القبر وسؤال القبر ٦ و ٧ .

سبب شبهة انكار عذاب القبر

الشبهة الأولى: كيف تكون هاتان الآيتان نزلتا في مكة ويدعي بعض المفسرين أنها تدل على عذاب القبر؟

والجواب أن النبي ﷺ كان يعلم ذلك ولهذا أخبر أن آية «يثبت الله الذين آمنوا» نزلت في عذاب القبر.

الشبهة الثانية: كيف لم يعلم النبي هذه المسألة وهي في العقائد؟

والجواب ان الله أخبره أن هذا شأن الله في الكفار - واليهود من الكفار - ولذلك لما سمع قول اليهودية لم ينكر عذاب القبر من الأصل وإنما قال (أما يفتن يهود) والله يوهي الى نبيه ما شاء ومتى شاء.

فمن رفض هذا الجواب لزمه أن يعتقد أن ذلك كان اجتهداً من النبي وأنتم تمنعون عنه الاجتهاد!!!

وبهذا ينتهي الاشكال الذي وصفوه بأنه تعارض خطير.

وهذا الجهل بالحديث قد يسميه هؤلاء اشكالا خطيرا، لكنه ليس كذلك عند من فهم الأحاديث، لقد رجعنا الى أهل العلم كالحافظ ابن حجر فوجدناه أعطى جوابا شافيا. ولا نرجع الى الموسوسين الذين ينكرون النصوص عند أول شبهة يهجم بها الشيطان عليهم أو وهي يلقيه في قلوبهم قبل أن يرجعوا الى أهل العلم.

فقد اعترف عمر بكري بنفسه أنه مقلد وليس من أهل العلم، وهذا تواضع. فليبقى على تواضعه ولا يتخذ قرارات باتكار غالب السنة بما يوحي أنه إمام من أئمة الحديث ونقاد الروايات.

ولكن كيف يكون مقلداً من أخبر عن نفسه أنه مفتي الحزب وأنه
تخرج من أربعة معاهد شرعية؟

الشبهة الثالثة: قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما
لبثوا غير ساعة) قال بكري « كيف يظن المجرمون ويقسمون أنهم لم
يلبثوا غير ساعة وهم من المعذبين في قبورهم، أليس هذا يلقي شكاً
على الموضوع »^١.

والجواب:

« لا اشكال بعد أن أخبر أنه يؤتى بأنعم الناس من الكفار فيغمس
غمسة في جهنم فيقال له: «هل رأيت نعيماً قط» فيظن أنه لم ير نعيماً
قط، بل يقسم على ذلك.

وقد أنسته غمسة النار كل ما أنعم الله عليه في دنياه. فكيف بمن
يمكث سبعين سنة وهو يهوي في جهنم ولما يصل إلى قعرها بعد، وإذا
كان مجرد السقوط يستغرق هذه المدة فكيف بالعذاب؟ لا شك أن فترة
الدنيا كلها لا تساوي ساعة مقارنة بفترات عذاب الآخرة.

وقد نص الله على أن الكفار حين يروا العذاب يذكرون مكثهم في
الدنيا كأنه كان ساعة من نهار، قال تعالى (ولا تستعجل لهم كأنهم يوم
يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار).

ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون

فمن أظلم ممن يضرب الأمثال جدلاً ليضل الناس بغير علم يبت الشك في كلام الله ويضربه ببعضه: كل ذلك لتخرج مبادئ الحزب منتصرة.

لقد ثقلت على هؤلاء العبادة فأخذوا يشغلون أنفسهم بتكثير المسائل وثقل عليهم العمل فابتلاهم الله بالجدل وزعموا تزييناً لباطلهم أنهم من أكثر الناس تحسراً على ذهاب الخلافة ولو منحهم الله إياها لضيعوها كما يضيعون دين الناس ويشوشون عقائدهم.

شبهة حزب التحرير حول روايات ظهور المهدي

ويستخدم التحريرون أسلوب التشكيك بالسنة لإلزام الخصم بالطعن بخبر الواحد. وهو أسلوب رخيص سبقهم اليه المستشرقون في الطعن بالسنة. ومن ذلك قول عمر بكري «من هو المهدي الذي يتحدثون عنه؟ أهو عيسى المهدي أم الخلقاء المهديون أم المهدي محمد بن عبد الله؟

قوله (عيسى المهدي) بناء على حديث ضعيف مروى عن أنس أن النبي ﷺ قال «لا مهدي إلا عيسى بن مريم». أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٩) والحاكم ٤٤١/٤ وابن عبد البر في (جامع بيان العلم ١/١٥٥) من طريق محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس...».

وهذا إسناد ضعيف فيه ثلاث علل:

الأولى: الحسن البصري مدلس وقد عنعنه.

الثانية: جهالة محمد بن خالد المؤذن

الثالثة: الاختلاف في السند. فالحديث ضعفه كثير من أهل العلم منهم: الذهبي الذي قال في الميزان (٥٣٥/٣) «حديث لا مهدي إلا عيسى ابن مريم» خبر منكر.

قال ابن تيمية في منهاج السنة ٢١١/٤ «وهذا الحديث ضعيف». وقال ابن القيم الجوزية في المنار المنيف (ص ١٤٥) «واحتج أصحاب هذا بحديث محمد بن خالد الجندي المتقدم وقد بينا حاله وأنه لا يصح».

ونقل السيوطي عن القرطبي ضعف إسناده وأن الأحاديث عن رسول الله ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه»^١.

وأما الخلفاء الراشدون فهم مهديون كما وصفهم رسول الله ﷺ ولكننا نعتقد أنهم ماتوا أول الزمان ولا نعتقد مجيئهم آخر الزمان فسخفاً لمن يرتكب أعمال اليهود في ليس الحق بالباطل. وهو يرفع أمام الحكام شعار المطالبة بتطبيق الشريعة.

أحاديث المهدي بلغت درجة التواتر

وقد احتجوا بطعن ابن خلدون في حديث المهدي، وعجباً لِقوم يحتجون بابن خلدون المؤرخ ويتجاهلون قول أهل الحديث ونقاد الروايات.

فقد صرح بتواتر روايات ظهور المهدي كثير من المحدثين المتقنين منهم:

نقل الحافظ ابن حجر عن أبي الحسن الآبدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه، وأن ذلك رد على حديث لا مهدي إلا عيسى»^٢.

وقال السفاريني عن أخبار المهدي أنها «من أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار وتواترت في مضمونها الآثار»^٣. وصرح السيوطي

١ - العرف الوردى ٨٥/٢ من الحاوي

٢ - فتح الباري ٤٩٤/٦.

٣ - لوامع الأنوار البهية ٧٠/٢.

بتواترها في رسالته (العرف الوردي ضمن الحاوي للفتاوى ٥٧/٢-٨٧) والكتاني في (نظم المتناثر ص ٤٧) ^١.

قال العلامة ابن القيم الجوزية عن أحاديث المهدي في (المنار المنيف ص ١٤٩) « وهذه الأحاديث وإن كان في إسنادها بعض الضعف والغرابة فهي مما يقوي بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً ». وهذا رد على من اقتطعوا قطعة من كلامه واحتجوا بها.

يظنون المتواتر أحاداً

وهناك أحاديث متواترة كثيرة لم يعتقدوا ما فيها زعماً أنها أحاديث آحاد، منها:

• حديث « الأئمة من قریش » نص على تواترها الحافظ ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير (٤/٣٣).

• أحاديث الحوض: وقد نص على تواترها السخاوي في (فتح المغيـث ٤٣/٣) والزبيدي في لقط اللآلئ المنتثرة (ص ٢٥١) وغيرهم ^٢.

^١ - وموقف الأئمة عامة من أحاديث المهدي رد على ابن خلدون الذي ضعف الرواية فيه وابن خلدون ليس من أهل فن الحديث.

^٢ - انظر كتاب البعث والنشور للبيهقي (ص ١١٠-١٣٠).

تقى الدين النجماني

صورة من كتاب التيهاني حيث يؤكد فيه على وجوب الأخذ بخبر الواحد وذكر حديث إرسال معاذ - وخبره واحد - إلى اليمن ليعلم الناس عقيدة الإسلام.

الشخصية الإسلامية

الجزء الثالث

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

من منشورات
حزب التحرير
القدس

الطبعة الثانية

عن خبر الآحاد الذي اشتهر بين الناس بعد هذين العصرين ، بل يقال عنه خبر آحاد مهما اشتهر ، ومن الاحاديث المشهورة قوله ﷺ :
« انها الاعمال بالنيات » .

خبر الآحاد

خبر الآحاد هو ما رواه عدد لا يبلغ حد التواتر في العصور الثلاثة ، ولا عبرة بما بعدها . وهو يفيد الظن ولا يفيد اليقين وتستند اليه الاحكام في استنباطها كما تستند الى الحديث المتواتر والى الحديث المشهور ، وبحث خبر الآحاد من اهم المسائل الاصولية لأن مستند اكثر الاحكام خبر آحاد لقلة السنة المتوازية . ويجب العمل بخبر الآحاد متى تحققت شروط قبوله رواية ودراية . وقد كان الرسول ﷺ ينقل آحاد الصحابة الى البلدان يدعون الى الاسلام ، ويعلمون الاحكام ، ويروون الاحاديث ، كما ارسل معاذاً الى اليمن . فلو لم يكن العمل بخبر الواحد واجباً على المسلمين لما اكتفى الرسول بالآحاد من الصحابة يرسلهم ولكان ارسل جماعات .

وقد اجمع الصحابة على العمل بخبر الواحد ، ونقل عنهم رضي الله عنهم من الوقائع المختلفة الخارجة عن العد والحصر ، والمتفقة على العمل بخبر الواحد ووجوب العمل به ، فن ذلك ماروي عن ابي بكر الصديق انه عمل بخبر المغيرة ومحمد بن مسلمة في ميراث الجدة ان النبي اطعمها السدس ، ومن ذلك عمل عمر بن الخطاب بخبر عبد الرحمن بن عوف في اخذ الجزية من المجوس ، وهو قوله ﷺ : « سنوا بهم سنة اهل الكتاب » ومن ذلك عمل عثمان وعلي بخبر فريضة بنت مالك في اعتداد المتوفى عنها زوجها في منزل زوجها . وهو انها قالت : جئت الى النبي

فهرس الموضوعات

| | |
|----|---|
| ٥ | المقدمة |
| ٧ | الغزو الثقافي ليس جديدا |
| ٩ | لماذا الكلام على حزب التحرير؟ |
| ١٠ | مؤسس حزب التحرير: عقيدته واجتهاده |
| ١٣ | بداية نشأة الحزب |
| ١٧ | هجرة الحزب الى بلاد الغرب |
| ١٩ | هل للحزب طروحات عقدية |
| ٢١ | الحزب يعرض الخلافة على الخميني |
| ٢١ | أعظم منجزات الخميني بنظر الحزب |
| ٢٥ | غياب حديث الحركات عن سنن الله |
| ٢٧ | دروس نبوية ووصايا عمرية مهجورة |
| ٣٠ | الخليفة المؤمن يحتاج مجتمعا مؤمنا |
| ٣١ | همومهم تختلف وهموم النبي |
| | مبادئ ومفاهيم الحزب |
| ٣٢ | طلب النصرة من الكفار |
| ٣٤ | الغاية لا تبرر الوسيلة |
| ٣٤ | في الولاء والبراء - في القضاء والقدر |
| ٣٥ | في الايمان بالعقل |
| ٣٦ | في الأخلاق والروح |
| ٣٧ | الزيادة في ستر المرأة انهيار في الأخلاق |
| ٣٧ | لا علاقة لهم بالوعظ والتعليم |
| ٣٨ | التأصيل الحماسي لا العلمي |
| ٣٨ | التعامل مع أهل البدع |
| ٣٩ | نتيجة الغلو في مسألة الخلافة |
| ٤١ | دليلهم على تعدد الجماعات |
| ٤٣ | ولكن من حزب التحرير أمة |
| ٤٣ | الحزبيون سيكون على تحزب الأمة |
| ٤٦ | البلاد الاسلامية دار كفر لا سيما مكة والمدينة.... |

من ثمرات إبعاد الأخلاق

| | |
|----|---|
| ٤٩ | فتاوى فقهية باطلة |
| ٤٩ | جواز مصافحة المرأة |
| ٥١ | وليحكم حزب التحرير بما أنزل الله |
| ٥٥ | لا يجوز للرسول أن يجتهد |
| ٥٧ | سب العلماء خطبة لضرب المرجعية العلمية |
| ٥٩ | أخطاء العلماء أقل فداحة من غيرهم |
| ٦٠ | نتيجة صرف الشباب عن العلماء |
| ٦٠ | حماس وراءه الشيعة |
| ٦٢ | أين مراجع الحزب العلمية |

عمر بكري مفتي الحزب

| | |
|----|--|
| ٦٣ | الكذب لا يقيم دولة الخلافة |
| ٦٦ | وليحكم حزب التحرير بما أنزل |
| ٦٧ | جهالة بالقرآن والسنة |
| ٦٩ | كيف يفهم بكري القرآن والسنة |
| ٧٢ | خبر الواحد خير من أخباركم الموضوعة |
| ٧٤ | غرائب أقواله |
| ٧٧ | الاجتهاد حرام على الرسول |
| ٧٨ | لا نؤمن ولكننا نصدق |

حزب التحرير ومسألة الخلافة

| | |
|----|--|
| ٨٠ | دغدغة العواطف: حق يراد به باطل |
| ٨٢ | توحيد الله هو الغاية أم الخلافة |
| ٨٣ | هل هذا الحزب أمار بالمعروف نهاء عن المنكر؟ |
| ٨٤ | ضرورة دراسة السيرة النبوية |
| ٨٥ | لا وقت للتباكي على سقوط الخلافة |
| ٨٥ | سنن كونية يتحدث عنها القرآن |
| ٨٦ | لماذا هدمت الخلافة لا كيف |
| ٨٧ | متى الخلافة وماذا قدمتم لها |
| ٨٩ | مملكة العثمانية لا خلافة العثمانيين |
| ٩١ | توحيد المنهج فيه توحيد الصف |

- ٩٢ إمنعوا الحزبيين من الكلام عن وحدة المسلمين ...
 ٩٣ الأمة عند حزب التحرير كلها أئمة
 ١٠٧ الجهاد حيث لا يوجد جهاد
 ٩٤ احتجاجهم بحديث من مات وليس في عنقه بيعة ..
 ٩٥ الأمة أئمة أصلاً بترك الدعوة
 ٩٦ العقيدة الصحيحة تجمع ولا تفرق
 ٩٧ الجهاد حيث لا يوجد جهاد
 ٩٩ وجوب الجهاد وجوب وسائل لا وجوب مقاصد...
 ١٠١ بدع الجهاد
 ١٠٤ متى نصر الله؟

خبر الأحاد

- ١٠٥ القضية أشعرية ماتريديية
 ١٠٧ الحجة على حزب التحرير من كلامه
 ١٠٨ الحزب لا يحكم بما أنزل الله
 ١١١ أصل شبهة رفض خبر الواحد وسببها
 ١١٦ الإجماع على الأخذ بخبر الواحد الثقة
 ١١٧ حجية خبر الأحاد عند الشافعي
 ١١٩ مناظرة الشافعي مع نفاة خبر الواحد
 إجماع العلماء على كفاءة الصحيحين مع أن أكثر
 ١٢٠ ما فيهما من خبر الواحد
 ١٢٣ أهل الحديث يميلون مع فتوى ابن الصلاح
 ١٢٧ خبر الواحد يفيد العلم والعمل
 ١٢٩ قاعدة أساسية حاسمة للمسألة
 ١٣٠ أهل الحديث هم أهل الاحتياط لا أهل الكلام
 ١٣٠ هل أنتم أكثر احتياطاً من البخاري
 ١٣٢ سلفهم في الطعن بخبر الواحد
 ١٣٢ التأويل أسوأ بئنا من خبر الواحد
 ١٣٣ الحكم على الحديث لأهل الحديث لا لأهل الكلام ...
 ١٣٤ الحجة الدامغة
 ١٣٤ يضاهنون قول المبتدعة من قبل

- ١٦٦ تعقيبات على رسالة عمر بكري
 ١٦٧ مواقفهم الحقيقي من خبر الواحد
 ١٧١ كيف يوجه بكري كلام ابن تيمية
 ١٧٤ أقوال أخرى لعامة الأئمة حول خبر الواحد
موقف التحريريين من عذاب القبر
 ١٧٩ افتراء عمر بكري على السلف
 ١٨١ أقوال أهل العلم في عذاب القبر
 ١٨٢ أقوال الماتريدية في عذاب القبر
 ١٨٥ أخبار عذاب القبر متواترة
 ١٨٧ تلاعب عمر بكري بالسنة
 ١٨٨ سلفهم المعتزلة في إنكار عذاب القبر
 ١٨٩ الأشعري يحكي الاجماع على الايمان بعذاب القبر ..
 ١٩٠ شهادة أشعرية
 ١٩١ شهادة من الفقه الأكبر لأبي حنيفة
 ١٩٣ يا أيها الذي آمنوا لا تؤمنوا بعذاب القبر !!
 ١٩٥ إن كان حقاً وجب الايمان به
 ١٩٦ عقلائية غير معقولة
 ١٩٧ العذاب للروح والجسد معا
 ١٩٩ لماذا لا يريدون اعتقاد عذاب القبر ؟
 ٢٠٠ شبهات حول عذاب القبر
 ٢٠٢ فوائد كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني
 ٢٠٣ سبب شبهة عذاب القبر
 ٢٠٥ ما ضربه لك الا جدلاً
 ٢٠٦ شبهة التحرير حول روايات ظهور المهدي
 ٢٠٧ أحاديث المهدي بلغت درجة التواتر
 ٢٠٨ يظنون المتواتر أحاداً

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
 أسكنه الله الفردوس